



دلائل النظام

تأليف

عبد الحميد الفراهي الهندي

سنة ١٣٨٨ هـ

المطبعة الحميدية



الطبعة الأولى :

ثمان العدد :

١٠٠٠

أربع زوايات

حقوق الطبع و الترجمة
محافظة الدائرة الحيدية

(المطبعة الحيدية)

١٣٨٦ هـ

فهرس مطالب الكتاب

الصفحة	المطلب	العدد
٧	كلية الجامع	٠
٩	النظام لماذا ؟	٠
١٠	النظام لمن ؟	٠
١٢	خطبة الكتاب	١
١٣	موضوع الكتاب	٢
١٤	غاية الكتاب	٣
١٧	أسباب قلة الاعتناء بعلم النظام	٤
٢٠	رفع بعض الشبهات	٥
٢١	ما أنكر من أنكر بالنظم إلا كرها ولعوائق	٦
٢٦	الزيادة على فهم من غير نظام	٧
٢٢	ماخذ النظام هو القرآن نفسه	٨
٢٨	كيف يهديك القرآن إلى نظامه وأصوله ؟	٩
٣١	من فوائده تعليم الحكمة	١٠
٣٣	النظم يهdy إلى الحكمة	١١
٣٤	في نظم القرآن دليل على نظم الديانة كلها	١٢

الصفحة	المطلب	العدد
٢٨	الحاجات إلى معرفة النظم	١٣
٤١	الوسائل إلى معرفة النظم في القرآن	١٤
٤٢	إن للقرآن ظهراً وباطناً	١٥
٤٥	بطن القرآن	١٦
٤٩	النظر في الطرق التي تكشف عن طرق الآيات والسور	١٧
٥١	الاستدلال بالآية	١٨
٥٢	المناسبة و الترتيب	١٩
٥٤	ترتيب القرآن المعجز	٢٠
٥٦	ترتيب القرآن و خفاء معناه	٢١
٥٨	ما يهدي إلى الترتيب	٢٢
٥٩	اختلاف الترتيب و حكمته	٢٣
٦٠	وجوه الأمر واحد	٢٤
٦٢	تركيب المطالب بعضها ببعض	٢٥
٦٣	قران الأمور و تقابلها	٢٦
٦٥	الحذف	٢٧
٦٧	تقدير المحذوف	٢٨
٦٨	وجوه الربط	٢٩
٧١	طريق استنباط علم النظام و أصوله	٣٠
٧٢	في النظم عموماً	٣١
٧٤	الفرق بين المناسبة و النظام	٣٢

الصفحة	المطلب	العدد
٢٥	تصور المعاني وسبكها في صورة	٣٣
٣٢	الوحداية	٣٤
٣٨	استخراج العمود صعب جداً	٣٥
٣٩	كثرة الوجوه في النظام	٣٦
٤٠	المشاقق وهي المعاهد والمفاصل والمعاطف	٣٧
٤٠	معالم السور	٣٨
٤٣	مقادير السور	٣٩
٤٣	ترتيب السور	٤٠
٤٤	وضع الاوائل نزولاً في الاواخر ترتيباً	٤١
٤٣	موقع الكلام من الوقائع والاحوال	٤٢
٤٤	النظم التاريخي	٤٣
٤٤	الكلام في نظم السور بعضها مع بعض	٤٤
٤٣	عمود السور اجمالاً	٤٥
٤٤	تلخيص مطالب السور ونظامها	٤٦
٤٥	أمثلة لحل مشكلات النظام في بعض الآي والسور	٤٧
٤٦	نظم آية (الحمد لله رب العالمين)	.
٤٦	نظم آية (فلا تركوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى)	.
٤٧	نظم آية (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر - ولا يزنون)	.
٤٧	نظم آية (والسماء بينناها بأيدينا ولم سمعون الحيا)	.
٤٨	نظم آية (فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى)	.

الصفحة	المطلب	العدد
١٠٩	نظم آية (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير)	.
١١٠	نظرة في نظم آية الكرسي	.
١١١	نظرة في سورة الاعراف	.
١١٢	نظرة في سورة الرحمن	.
١١٤	نظرة في سورة والقمر	.
١١٥	نظرة في نظم سورة والضحي	.
١١٦	نظرة في نظم سورة الم نشرح	.
١١٧	نظرة في نظم سورة القلق	.

استدراك ما فات

٤٨

١١٨	طريق استدلال القرآن	.
١٢٠	التدبير يهدي إلى أصل الأمور	.
١٢١	نظم القرآن	.
١٢٢	رابط المعاد والتوحيد	.
١٢٣	وجوه خفاء النظم	.
١٢٤	وجوه الخطأ في التفسير	.

ثم صرح بعد ذلك بان القرآن الحكيم كلام منظم و مرتب من
 اوله إلى آخره على غاية حسن النظم و الترتيب ، وليس فيه شئ من
 الاقتصاب لا في آياته ولا في سورة ، بل آياته مرتبة في كل سورة
 كالفصوص في الخواصم و سورة منظمة في سلك واحد كالدرر في القلائد ،
 حتى لو قدم ما اخر ، او اخر ما قدم لبطل النظام وفسدت بلاغة الكلام بل
 ربما يعود إلى قريب من الهذيان .

ثم أوضح — ثانياً — الوسائل التي تهيء إلى معرفة النظام . و أهمها
 عنده التدبر في القرآن ، لأن الله تعالى قد جعله محلاً للتدبر و التفكير كما قال :
 (كتاب أنزلناه إليك مباركاً ليدبروا آياته و ليتذكروا أولوا الألباب) و كما
 قال في موضع آخر : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) و
 هذا كثير جداً . فالتدبر في آياته هو أول اقلید لفتح هذا الباب . فمن نظر
 في مطالب الآيات على حدها ولم يتأمل في مناجاة أجزاء السورة فقد عميت
 عليه الحكمة و حسن نظامها ، لأن أكثر الحكم مخبوءة تحت دلالات النظام
 و إنه لا يبرز إلا بالتدبر .

ولكن مع ذلك للتدبر أيضاً أساس ، لا يدور قطب رحاه إلا
 عليه و هو الإيمان الصادق بالآخرة . كما قال تعالى : (وإذا قرأت القرآن
 جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا . و جعلنا
 على قلوبهم أكنة أن يفقهوه و في آذانهم وقرا) فإن معاني القراءات
 لا تكشف إلا للفتنين الحاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم . فليتمسك
 أولاً من أراد التدبر في القرآن قلبه . هل له الإيمان الصادق بالآخرة ؟
 فإن وجد هناك الإيمان ، فقد وجد نوراً لفهم القرآن و لاخلاف في ذلك .

فالتدبر مع الإيمان^① بالآخرة هو أول مفتاح به يفتح كنوز القرآن .
 فالذي يكون بيده هذا المفتاح وهو كان عالماً بصحيح علوم اللسان الذي
 أنزل فيه القرآن ، فلا شك أنه يطلع على حسن نظامه وأدق حركاته و
 انجاز بلاغته . ويكون عند احتفال التاويلات الكثيرة على ليفة من ربه
 فيختار ما كان أحسن منها تاويلاً . وذلك هو الفوز العظيم .

ثم مهد السبيل ثالثاً - إلى طريق استنباط علم النظام وأصوله
 ولا شك أنه قد أدى حقه وأوفى ذمته ، حتى جعله فناً مستقلاً عيلى
 أصول واضحة ، مستبظة من أساليب القرآن وقواعد اللسان . لم يهتد إليه
 أحد من سبقه وهو قد اهتدى إليه بنور القرآن وذلك من فضل الله .
 فهذه ثلاثة مقاصد يتوجه إليها الكلام في هذا الكتاب . ولا شك
 أنه من تحقيقه هذا . قد فتح لنا باباً عظيماً لفهم اسرار القرآن وبلاغته
 وسهل لنا الانتفاع به علماً وعملاً . فانه قد هيا لنا بذلك سلباً تبلغ
 به نهاية سعادتنا شوقاً وحبّة ولذة .

إن جماعة من العلماء المتقدمين ، قصدوا إلى هذا العلم واعترفوا بأن
 علم المناسبة علم شريف وإن أكثر لطائف القرآن في حسن نظمه ، كما
 صرح به الامام غفر الدين الرازي في تفسيره الكبير ، وأيقن به الريحسري ،
 وأدعى عليه ابن العربي ، وأقر له الخنذوم المبهاني تفسيره المسمى
 بتفسير الرحمن وتيسير المئان . ووصف فيه الامام برهان الدين القاسمي كتابه
 نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، و الامام أبو جعفر بن الزبير
 شيخ أبي حيان كتابه البرهان في مناسبة سور القرآن ، وغيرهم من العلماء المحققين
 الذين قد صنفوا فيه و بينوه علماً شريفاً واستحسنوه حتى شغفوا على

المشكره .

و لكنهم - إن كان سعيهم مشكوراً - لم يثبوا جهدهم إلا في الكشف عن المناسبة بين الآيات المتجاورة ، أو السور اللاحقة والسابقة . ولم يعمقوا النظر في الكشف عن المناسبة التي ينظم بها الكلام من أوله إلى آخره فبصير شيئاً واحداً ففقدوا بمجرد بيان المناسبة بينها من غير أن ينظروا إلى أمر عام شامل بكل ما يحتوي عليه الآية أو السورة . فذلك لم يصبوا في أكثر المواضع بل خبطوا فيها خبط عشواء . وذلك لأن أكثر الآيات وهكذا أكثر السور أيضاً ليست بتصلة في كل موضع ، بل الآية التالية أو السورة اللاحقة ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بعد منها . فمن طلب المناسبة بينها مع عدم اتصالها فكيف يتهدى إلى نظامها ؟ وكيف يفهم مرادها ؟ فإن خبطوا فيها فلا يحجب .

و لكن مع ذلك الفضل للقدم ، فانهم قد ابرزوا اعتناءهم أولاً بربط الآيات ونظام السور فلا شك أنهم قدوة لنا . ولو تمم المتأخرون ما تركوه غير تمام وأوضحوا ما خفي عليهم انصار ذلك العلم فأستقلاً . و لكن لم يتوجهوا إليه كما ينبغي ، ولم يكن هذا إلا ليدقته و غموضه ، فبقي هذا العلم على ما كان في عصره الأول . حتى جاء أستاذنا الامام وبحول الله و توفيقه قد جعل هذا الجدول بحراً . فانه قد أسس أولاً لهذا العلم بياناً على الأصول والاصول ، واستخرج له فروعاً جامعة ، ثم صاغه في قالب الفقه المستعمل . و لم يترك لنا مجالاً لخطب في اواذي تلك الكوكب جليل الأثر . رتبه . استلهم علم الفقه الشافعي . إنك قد استلهم من الفقه الشافعي ما لم يطلع عليه ليس اكمل المناهج التي كان مركز الألفين السابقين ومفاتيحها لا تظن انهم

لأن التناسب إنما هو جزء من أجزائه، والنظام شئ زائد عليه بل أوسع منه وأعم كما هو مبسوط في موضعه.

فعلم النظام لا يظهر التناسب وحده بل يجعل السورة كلاماً واحداً، و يعطيهما وحدانيتهما التي بها صارت سورة كاملة مسانلة بنفسها، ذات عمود تجرى إليها اجزائها، و يربط الآيات بعضها ببعض حتى يأخذ كل آية محلها الخاص، و يتبين من التاويلات المحتملة ارجحها، فن تدبر القرآن في ضوء النظام فلا شك أنه لا يخطأ في فهم معانيه، و ذلك لأن النظام قد بين له سمت الكلام، و ينفى عنه تشاكس المعاني، و يرد الأمور إلى الوحدة، و يند أبواب المدخول فيه للاهواء حتى يجبره أن لا يأخذ إلا بصحيح التاويل و لا يعتمد إلا عليه و هو أعظم مطلوب.

إن هذه الاختلافات الشديدة التي نشأت بيننا، و قطعت جبايل الفتنة، فجلبها قد وقعت من عدم التزام رباط الآيات في تاويلاتها، فإذا اختلفنا في تاويل القرآن، اختلفت عقائدنا و صرنا مختلفين في ديننا، حتى انتشقت عصانا و قامت العداوة و البغضاء، فينا كما أخبر الله تعالى عن أهل الكتاب: (فظنوا خطأ بما ذكروا به، و قاعرنا بينهم العداوة و البغضاء إلى يوم القيامة) فاشبه حالتنا حالهم. فلو ظهر لنا النظام في آياته و أخذنا من المعاني ما أراد الله، لاجتمعنا تحت رؤية واحدة و ما اختلفنا في كلمة سواء بيننا. فالدواء الوحيد لهذا الداء العضال أن تدبر القرآن بقلب ساذج، و نؤمن بل قطعنا بما يظهر لنا من نظامه فلا نذهب إلا حيث يجربنا وإنما هو الذي لا يصلح أمورنا إلا به. كما قال النبي ﷺ: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، لعل الله يرزقنا منه رزقاً حسناً.

وأخيراً يناسب أن أذكر كلمات في ما يتعلق بجمع هذا الكتاب

و ترتيبه :

(١) فاعلم أن هذا الكتاب ليس إلا بمجموعاً من أفكار الإمام الفراهي^د، قد ابتكرها لكتابه هذا - دلائل النظام - ولكن لم يتيسر له أن يرتبها ، ماعدا عدة فصول توجد في أوائله (١ - ١٠) فما زاد على ذلك فهو مما كان مبدئياً في مخطوطاته . فجمحته أنا كما وجدته ورتبته حسب ما رأيته مناسباً فان أصبت فيه بفتور في ربي وإن أخطأت فمن نفسي ، و الأستاذ الإمام^د يرى منه .

(٢) و إذ لم يكن أكثر هذا المجموع إلا كالأشارات التي يختزنها المصنفون لمصنفاتهم من غير تفصيل . فلاحظوا إن كان فيه شيء من الإجمال و الإبهام ، فذلك ينبغي لمن درس هذا الكتاب أن لا يمر عليه كالرجم العاصف أو البرق الخاطف . بل يقف على كل سطر منه و يفكر فيه ، عسى أن يجده فصلاً مستقلاً .

و كان في وسمى أن أفضل ما اجمل ، و أفسر ما اهتم ، و لكنني أحيت أن انجمنه ، كيلا يختلط مع أفكاره فكر آخر . فلم ازد عليه ولم انتقص منه شيئاً بل ابقيته كما وجدته في المخطوطة . فانظروا فيه و تفكروا ، فان في التفكير ترويضاً لعقولنا و تربية لها .

(٣) أنا معترف بانني لم أكن أهلاً لهذا الأمر العظيم و لكنني قد اضطررت إليه بالوصية التي أوصاني بها شيخنا المغفور له اختر احسن الاصلاحى الذى كان تلميذاً رشيداً للإمام الفراهي^د و أميناً لمخطوطاته السادرة . إذ قال لى يوماً في عام قد توفي فيه ما يكون لهذه

الامانات التي قد أودعناها الأستاذ الامام ٩٣٥ - وأشار إلى مخطوطاته -
فقلت له ماذا تريد؟ فقال أريد أن تطبع هذه كلها من غير تاخير ، تقدمتني
عليها أكثر من ربع قرن ولم يطبع منها إلا نثر يسير ، فاجبه لذلك . ولكن قبل
أن أهبني لها أسباب الطبع . حان له الرحيل وهو ارتحل إلى جوار رحمة
ربه الكريم . فوفعت بعد ذلك في حيص وبيص ، لأنني كنت رجلاً قليل
البضاعة في العلم ، ومن كان لنا معتمداً فيه ومستنداً إليه ، لم يبق فينا نخسيت
في هذا الأمر العظيم ورأيت مراراً أن أطوبه على غره ، ولكن لم تزل
وصيته تضطرنني إليه ، فراجعت فضيلة الأستاذ الجليل أمين أحسن الاصلاحى
مستشيراً في ذلك ، وهو ثاني اثنين إذ هما يتأديبان بأداب الامام القراهى
بمدرسة الاصلاح ، وهو المرجع الوحيد بهذا العصر لأفكار الأستاذ الامام
وعلومه القرآنية ، فشجعتنى على الوفاء بما عهد إلى شيخنا المغفور له ، و
وعدتنى بكل اعانة احتيج إليها فارضيت بعد ذلك نفسى بهذا العدل العظيم
مستفيداً بالله من ظلمات الضس وغوايات الجهل .

فهذا أول مجموع من أفكاره النادرة القرآنية التي وفقني الله تعالى بجمعه
وترقيته وهكذا اجمع كل تاليف له و أنشره واحداً بعد واحد إن شاء الله
تعالى . ويده التوفيق .

بندر الدين الاصلاحى
مدير الدائرة الجديدة .

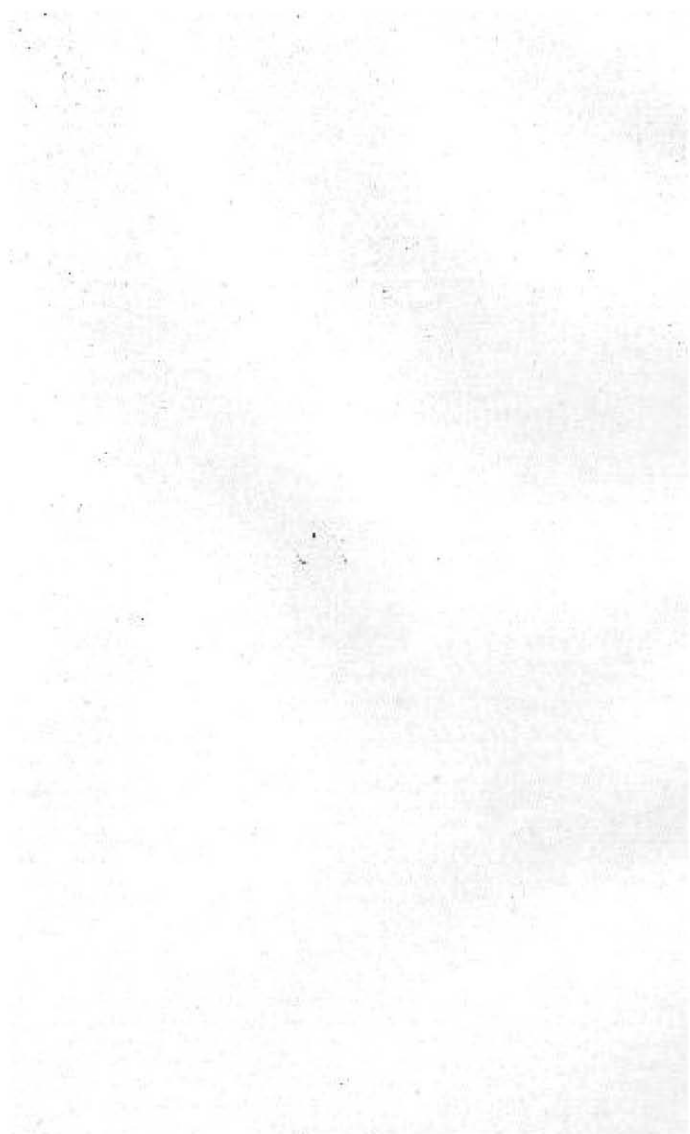
غرة محرم سنة ١٣٨٨ هـ

تصحیح أغلاط الطبع في هذا الكتاب

ص	س	الغلط	الصواب
١٨	٦	تغلت	تغلت
٣٣	١٧	الديانات	الديانات
٤٦	١٥	لكل	لكل
٧١	٥	آياتها	آياته
٧٦	٦	ووجهة	ووجهته
١١٢	١١	ترقى - تجلى	ترقى - تجل
١١٤	١٤	لمرغوب	بمرغوب
١١٨	١٢	عن	من
١٢١	١٣	X	تطامنهم سلكي و مخلوذة

كرك لا عين على نابل

دلائل النظام



النظام :

لماذا ؟

الهدف/الغرض منه

المقصود من معرفة النظام ليس إلا التدبير ، فإنه الاقليد له . ثم التدبير في الكتاب هو الوسيلة إلى الهدى و التقوى . فيها أصلان . فان النفس بالهدى يستبصر و بالتقوى يتزكى . و الايمان مع شعبه العلمية يدخل في الهدى . و النرائع و الاخلاق و الاحوال تدخل في التقوى . و قد بين الله ذلك في القرآن و الثبوتة و الانجيل .

ثم يهدى إلى النظام بأوائل التدبير ، فيضطر إلى معرفة النظام . فان أقل جملة من القرآن يستدعى تدبراً و يهدى إلى ما هو فوقه و ميم ، فثم ، حتى إذا اتضح النظام كل الاتضاح ، تجلى محاسن السورة و الحكمة التي هي تمام العلم و التقوى .

(القراهي ٣)

النظام :

لمن ؟ العلماء

المقصود في هذه الفصول أن معرفة النظام من الضروريات لعلماء الأمة ، حتى يعلموا الناس حسب ما فهموا . فانهم إن لم يفهموه . واختلفوا فيه كيف يرشدون الناس ؟ بل يشتد ضرر قيادتهم لأنفسهم و لجميع المسلمين .

وقد رأينا ذلك في أهل الكتاب فانهم زاغوا عنه مع دعواهم بأنهم حافظوا عليه ، فكانوا كما قال الله تعالى فيهم : « طلبوا زاغوا أزاغ الله قلوبهم » . وكما قال المسيح عليه السلام : في علماء اليهود : « العميان قادة العميان » .

وقد ترى أنهم افروا بذلك واشتغلوا بالعلوم التي هي وسائل إلى أفهمه و أكثرها في تفسير الكتاب و لم يتكروا من هذه العلوم ما يفتنونه فافعباً لهذا المطلب الاسئى . وجمع ذلك تراهم محتفين طابة الاختلاف تكثر بهم الآراء . . . فان فهم للكلام لا يمكن بدون معرفة النظام و إنه هو السبيل الوحيد إلى فهمه . . .
(الفراهى ٢٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الصانع الخلق على اكمل نظام واحسن قوام ، الواضع الاشياء في اجدر مقام ، و ارق مصام . و الصلوة و السلام على المويذ بابلغ كلام ، و خاتم النبوة بالانعام ، كبر تجلى من بين الغمام ، محمد المعوث لهداية كافة الانام ، إلى سبل السلام وعلى آله و اصحابه الكرام ، إلى مدى الليالي و الايام -

أما بعد فهذا كتاب أفردناه لذكر دلائل النظام ، و نريد بالدلائل :

١ : ما يدل على وجود النظام في القرآن و شئبه .

٢ : و ما يهديك إلى معرفته و طريق استنباطه .

فهذان قسطان :- الأول نظري و الثاني عملي و كلاهما اصولي ، يبحث فيه عن الاصول الكلية للنظام عموماً ، و لنظام القرآن الحكيم خصوصاً . و من هذه الجهة هو فن مستقل من البلاغة ، بل هو الذروة العليا منها . ولولا القرآن و اعجازه ، ما اتمدنا إليه ، كما أننا لم نطلع على حقيقة البلاغة و تهجتها ، لولا كشف القرآن القناع عن وجهها . كما قد اوضحناه في كتاب

جمهرة البلاغة . ثم نزيد عليهما قطعاً ثالثاً ، نورد فيه أمثلة لترتيب المطالب
وترتيب سورة مع سورة . وهذا البحث وإن كان خصوصياً ومادياً
وكان أولى باصل التفسير ، فإنما وضعنا طرفاً منه ههنا لثلاثة أمور :

الأول : إن القلوب على الأكثر لا تظمن بمحض الدلائل حتى
تشاهد المدلول عليه ، و ذلك بأن استعمال الكلمات و سوقها إلى ما يقتضى
منها ، أصعب جداً . بل كل ما يكشف من العلوم ، فقدماها معلومة
من قبل ، و لكن الفكر لم يهتد إليه إلا إذا شاء الله تعالى .

و الثانى : إن الامثلة و إن كثرت ، لا تزال الشبهة من يظن أن
أكبر القرآن منظم . وإنما الاقتضاب في مواضع خاصة و فى السور الخاصة ،
مثل الطوال و كثير من المفصلات ، فاردت أن أذكر في هذا القسط من
مشكلات النظام حتى إذا انضح النظام في المواضع الصعبة ، لم يستعده
في ما دونها أو مثلها .

و الثالث : إن بيان النظام الكلى بحيث يعلم أن القرآن كله ، كما أنه
مرتب الآيات فكذلك منظم السور . فإن ظننت و أخزت ، ذهب طرف
من الحكمة ، كما لو بدل ترتيب الآيات . فهذا البيان الكلى لا يوجد له
موضع في تفسير بعض السور دون بعض فذلك وضعناه في القسط الثالث
من هذه المقدمة .

٢ - موضوع الكتاب

بمعنى الإظم في معاني الآيات و السور ، هو الموضوع لكتابنا هذا
و أما نظم القرآن من حيث أنه على ترتيب كان في عهد النبي عليه السلام

فهو أمر لا يشك فيه إلا من جهل بالتاريخ ، فإن السور كلها كانت تقرأ في الصلاة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وبلغ هذا حد التواتر . فاتهم كانوا يقرؤونها في صلواتهم وكانوا يسمعون النبي عليه السلام يقرأها . وإنما يشك من يشك في ترتيب السور ، لا آياتها . هل هو كان في عهد النبي أم رتبها الجامعون للقرآن ؟ والصحيح الثابت أن ترتيب سور القرآن أيضاً من عند الله ، وجاء به جبريل ، و عليه النبي ، وهو علمه الصحابة كما علم . وهاتان المشتان من مسائل تاريخ القرآن تفصيليها يوجد هناك . (١) و أما في هذا الكتاب فنأخذ المسئلة من الاصول الموضوعية . لكونها معلومة بالتواتر ، فلا نقاشها بل ثبت بها ، و من حاله شك فيها ، فليراجع موضع تفصيلها . (٢)

(١) كتاب غير مطبوع للإمام الترمذي (الجامع) .
 (٢) قال الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن محمد الماوردي القاسم القوفي حسين وأربع مائة في كتابه المشي بإعلام النبوة ص ٤٤ في إيصال شعبة من زعم أن أسلوب القرآن لم يكن شيئاً عن سائر الكلام . لضعفه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطلب شهراً من بني آية أو آيين . فقال الماوردي رحمه الله تعالى : و ذلك أنه طلب الشهادة على عهدها من آية سررة من . و في أثر موضع منها موضع . و إن كان معلوم الأسلوب بالثابت . لأن الله تعالى كان يأمر بوضع ما أنزل في ما يراه من السور بقوله تعالى : و إن علينا جمده و قرآنه . الذين قرأه الماوردي .

ولأجل من قوله أنه فهم من الآية أن جمع القرآن و ترتيبه كانت من الله تعالى . فكان القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مرتباً . كل سورة و آية و لفظة كانت موضوعة في محله . و أما الصحابة رضي الله عنهم فلقوه ما تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم حسب ذلك الترتيب . ثم في عهد أبي بكر رضي الله عنه لم يخالوا إلا جمع ذلك في مصحف واحد . فإن القرآن كان قول ذلك مجموعاً في صدور الحفاظ و مكوفاً في أجزاء . ثم قالوا جهوا في المحافظة على ما كان القرآن أسدياً عن النبي صلى الله عليه وسلم . فكانوا لا يكفون في النسخ إلا بعد شهادتين أو أكثر . شهادة من حفظ قولي و شهادة من كتابة . و هذه الشهادة لم يطلبها عمر رضي الله عنه ليدل أنه من القرآن . لأنهم كانوا يرون أسلوب

وبالجملة فإنا لانسك أن ترتيب القرآن محفوظ على ما جاء به جبريل
 الأمين ، آية ، آية و سورة ، سورة من غير تقديم أو تاخير ، فهل
 هذا الترتيب على أحسن الوجوه أو إنما هو آيات منشرة غير مرعية
 النظام ؟ فهذه مسألة متنازعة وموضوع هذا الكتاب هو اثبات حسن نظامه
 وجوب معرفته وتسهيل الطريق إليها . فان اصبتا الغرض فتوفق ربي ،
 فسبح له ونشكره ، واذلا آمن على نفسي عنفات الجهل والضعف ،
 فتستعذ به وتستغفره .

٣ - غاية الكتاب

الغرض الأصلي من هذا الكتاب ، هو الانتفاع بالقرآن تعلمه وتعليمه
 والعمل به وحث الناس عليه . وذلك سلم إلى نهاية السعادة وهو الفوز
 بمرضاة الرب والايفاء بالعهد الفطرى والعبودية والرضى والطائفة بها .
 وبالجملة هو تحقيق الإيمان والاسلام وتكميل الفطرة الانسانية التي سجدت
 لها الملائكة ، وتلك هي الدرجة العليا من هذا السلم .

وأما بدوها ، فترية أخص صفات الانسان وهو اليان . قالت
 الانسان لم بكل صفاته العقلية والفؤادية إلا بعد أن صار ذا خلق مبين .
 فهذه البداية تسوق إلى تلك النهاية ، إذا لم يقع فيها زيغ ، كما هو الأمر
 في كل طريق مستقيم ، فلم يخلق الله الانسان ناطقاً ، قارئاً إلا ليتلقى الهدى

★ القرآن و بيروته من غيره ، ولكن يعلم على - وهذا ما أراد الماوردي رحمه الله تعالى ،
 ولا يخفى أن الشهادة لما فوائد غير ذلك ولكن نقلاً قول الماوردي يعلم أنه رحمه الله تعالى
 فهم من آية ، وإن علينا جمع و قرآن ، ما هو التاويل حتى ر الله أعلم بالسواب . (من
 رحمه الله تعالى) .

الذي وعده ربه و قرء آياته المشهودة وكلماته المقتولة، فيستبشر بالنور الذي أنزله إليه ، حتى يسبغ عليه نعمته و يفرغ فيه رحمته كما قال : « الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان . » فانظر كيف نبهك بغاية الابهام على ما قدمنا ، فبدء بنفسه فانه هو البادي بالرحمة و التعليم و عليك ان كمال رحمته هو تعليمه القرآن . و انه خلقك و عليك البيان لتعدك لذلك التعليم . و من ههنا تبين حكمة ما روى في الخبر : « خيركم من تعلم القرآن و علمه . » (رواه ابن ماجه ، عن سعد) .

فالتى صلى الله عليه وسلم تعلمه من الرب و علم الامة . فهو خير الناس من غير شك . ثم من تعلم منه و علم غيره ، و هكذا على تفاوت الدرجات حسب كثرة الوسائط و قلتها ، و حسب خلوص النية و الفهم به . و اى خير يكون اعظم من قبول تعليم الرب و تبليغه لعباده ؟ و اى خير يكون اكبر للانسان من ان يبلغ العناية التى فطره الله لها ؟ فان قلت ان الله تعالى خلق الانسان للعبادة عامة ، فكيف تخصصه بتعلم القرآن و تعليمه ؟ فلنا كل امة تدعى عبادة الرب و لكننا ضائعة و باطلة ، حتى تكون حسب تعليم الرب و هدايته . و هل القرآن إلا ذلك ، فهو ام العبادة و محورها و مخ العبودية و جوهرها . و لذلك صارت نفس تلاوته عبادة :

فان قلت قد فهمنا و سلينا ما ذكرت من رفيع منزلة القرآن و تعلمه و تعليمه ، و نعلم اننا لو استزدنا لزدت عليه حتى يظن المستمع انه فوق كل علم بل لا علم إلا هو ، و ذكرتنا ما قال الامام الشافعى رحمه الله تعالى : « الناس في العلم طبقات ، مواقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به ،

— اى القرآن — ولكن اين ذلك من غرض هذا الكتاب الذى خصصته
 لدلائل نظام القرآن؟ قلنا لا تستعجل ، وفقك الله فالتست يعيد عما تسأل .
 (٢) قد سبق آنفاً أن الغرض الاصلى من هذا الكتاب هو الانتفاع
 بالقرآن تعلمه و تعاليمه و العمل به و الخث عليه ، و الانتفاع به موكول إلى
 فهمه ، و الكلام لا يفهم إلا بعد المعرفة تركيب أجزائه و تناسب بعضه ،
 بل معانى الأجزاء أنفسها لا يطلع على المراد منها إلا بعد الاطلاع على
 جهتها التاليفية ، كما سيأتيك بيانه ، و ما لهذا الغرض من المكانة فى الدين
 و فى اصلاح الانسان و إكماله . و قد تبين لك هذا بظاهر أمره ، فانظر
 هل يمكن تعلمه من غير أن تفهمه ؟ و هل تصور أن تطالع على المعانى
 التى أراد المتكلم القاها ، و جعل الكلام عليها دليلاً ، و أسلوب بيانه إليها
 سبيلاً ؟ من دون أن تعلم أولاً روابط الكلام و أعضائها على سبيل
 الاجمال ، ثم تعلم موانعها تالياً ، ثم إذا نظرت فى استعمال ذلك فتميز
 و جرد الربط ثالثاً . فان اتصال جملة بقريضها يكون لوجوه مختلفة ، فمن
 لم يفهم وجه الاتصال أو أخطأ فى تعيينه ، أخطأ المراد أو جهله ، ولم يطالع
 على ما تضمنته الكلام من العلم و الحكمة . و بالجملة محال أن تفهم كلاماً
 من دون أن تعلم نسبة بعضها الى بعض . فان أخذت كل جزء طويلاً على
 حده ، غاب عنك بعض معانيه . ثم إن قصرت عن فهم نسبة أجزاء هذا
 الجزء ، غاب عنك طرف آخر . حتى إنك تنقص من فهمك شيئاً فشيئاً ،
 بقدر ما تنقص عن فهم النسب التى بين أجزائه ، فإذا تبين لك هذه
 النسب و الروابط بين أجزائه ورأيت أنه كلام مربوط ، مسوق إلى عموده ،
 ظهر حسن بيانه .

٤ — أسباب قلة الاعتناء بعلم النظام

(١) من أضر ما يقضه المخالف عن علم النظام ، أنه مع اشكاله و صعوبته و كونه من مزلات الأقدام ليس من مهيات الدين ، فلا بد أن يعنى بما هو أهم و أنفع ، و قد جاء في صحيح الخبر : . من حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه . فتسبب النكات اللطيفة في نظم الكلام و استنباط رجوع البلاغة فيه ، يكون من أشغال الفرصة . فن جعل ذلك من مهيات العلوم و حث الطلبة على التشهير له ، فقد منعهم عن الواجب و قلب الأمر و أدخل بنظام التعاليم . و قد سمعنا هذه الشبهة من بعض من اعترف بوجود النظم في القرآن ، و قال : إن القرآن إنما نزل للعمل به و الاستهداء بنوره ، لا للاستغفال باستنباط لطاقته و نكات بلاغته ، فقلت أن الباحث لا يغفل عن عمله و لا يعوزه طريق انبائه على أمته . فان سددت عليه ثلمة ، هجم عليك من جانب آخر . فأقول و بالله التوفيق :

(٢) لا شك أن هذا القائل لم يتصور ما نحن بصدده . لطائف البلاغة و وجوه الامجاز ليست مقصودة لذواتها و لا هي غاية ما تنوزيه . بل ليست معرفة نظام الكلام و روابط معاني الآيات ما هي طلبتنا — كل ذلك باتيك عرضاً — إنما المقصود هو التدبر في معنى القرآن الذي سبق إليه برانه ، و معرفة النظام إنما هي الوسيلة إليه . فهل تظن أنك في حق عن ذلك ؟ و أن ليس لك حاجة إلى ما أنزل الله إليك من عيون الحكمة و النور و الشفاء ؟ و هل ترغض أن تجعل نفسك ممن يظن أن كتب الفقه قد تكفلت بما أمر الله و نهى ، فلم تبق لنا حاجة إلى القرآن ؟ أليس

أن ظواهر الأحكام منوطة بالعقائد والنيات ؟ و هما منوطتان بواطن
الأخلاق . وكذلك صلاح الأفراد منوط بصلاح الجماعة و هو باصول
خفية من الحكمة و التدبير . وكذلك متى كان يجري الأمور على السداد ،
كما يكون يجري الطبيعة على الصحة . قل احتياجنا الى اصول الاصلاح
و تدبير الأخلاق و تصحيح النيات . و لكن اذا غلب الفساد و قسدت
العقائد و تغلت القلوب و تبدد من الملة نظامها و زاع من الشريعة قوامها
و استحوذ سلطان البدع و الأهواء ، اشتد احتياجنا إلى الحكمة الإلهية
و معرفة طريق الشفاء و الخروج من فتن الشقاق في الدين . حين التمس
الطريق ، و أعجب كل ذي رأي برأيه ، و ضرب الجهل بحجرانه ، و رفض
الاستهدام . بالقرآن الحكيم الذي عرفه الله تعالى بالنور و الشفاء ، و عشوا
عن الحكمة التي أودعها الله تعالى كتابه ، فهل يطلع عليها من يمر به
كالراكب السريع أو الريح العاصف ؟ و لو لا ذلك فلماذا أمرنا الله تعالى
بالتدبر في كتابه و التفكير في آياته ؟ و إن لم يكن هنالك معارف مكتونة
فبماذا يرجع التدبر و التفكير فيه ؟ فان ظننت أن المعارف كلها مودعة في
الجل الثابت ، و من فهمها فقد إطلع على ما تضمنته . سواء عرف نظامها
أم لم يعرف ، كما أن من سار بالجواهر ، هان عليه سلكها فان القيمة لها
فان شاء نظمها و إن شاء تركها كما هي . اجبتك بأن هذا الظن يبدى
عدم المعرفة بما للنظام و التركيب من المكانة في كل مركب ، لا سيما في
الكلام و لا سيما في هذا القرآن الحكيم . فتقول و بالله التوفيق :

(١٣) أسرح النظر في جميع ما حولك و فورك و تحتك من الكائنات

تحتها مركبات و مصنوعات للانتفاع و التمتع ، و نجد للتركيب حفاً عظيماً

في منافعتها و محاسنها ، بل لو شئت قلت إن التركيب هو أصل ما هـبة كل شئ و حقيقة وجوده . فك عنه التركيب ، ينقلب كانه لا شئ . ولذلك ليست الصنعة و كالمها إلا في صحة التركيب ، و إنما يمدح الصانع أو يعاب حسب اتقان التركيب أو ضعفه و كذلك كل عمل و تدير إنما ينجح أو يخسر من جهة تركيه ، فهذا أصل واضح لا يخفى على أولى النهى .

فان تبين ذلك . التفت إلى موضع التركيب في الكلام ، فانه شئ موثق ركب بعضه ببعض و لم يصر ذا معنى إلا بعد تركيه ، فانما هي الصورة التركيبية ما دل على معناه ، ألا ترى ذلك عيانا في اللفظة الواحدة ، فانما صارت كلمة ذات معنى بما وضعت حروفها على ترتيب خاص ؟ و كذلك الحال لتركيب الكلمات في جملة . فانها لم تصر ذات معنى خاص إلا بما وضعت كلماتها على تركيب مخصوص . وهكذا الأمر في تركيب الجملات حتى تصير كلاما حسنا أو حديثا عجبا أو حجة دامغة أو حكمة بالغة مشتملة على فنون البلاغة و أطراف البراعة .

و لا شك أن تركيب الكلمة بالكلمة يفيد معنى ، و لكن ابن ذلك من معنى يعطيك تركيب الجملة بالجملة ، و كذلك مجموع من الجمل يتضمن تالفاً آخر ، له دلالة على ما لا يدل عليه أجزاء هذا التاليف من حيث الانفراد ، فلا شك أن الكلام إنما هو بنظامه ، فانه يحسن أو يبلغ أقصى البلاغة ، لا يحسن أجزائه بل بنظامه و ترتيبه على ما ينبغي ، فن أراد أن يطلع على حسن بيانه ، و قوة استدلاله ، و تأثيره في النفوس ، و دلالاته على مكنون الحكمة ، لابد أن يلتصق ذلك من معرفته بتركيب جملاته ، فان ذلك حصل للكلام من مواقع معانيه و ترتيبها .

فإن كنت في شك مما ذكرنا أو أردت زيادة اطمئنان وإيضاح ،
 فاعمد إلى خطبة بليغة مشتتة على الترغيب والترهيب والحكم والأمثال
 والحجة والاستدلال ثم سل عنها النظام ، و قدم وأخر من غير مراعاة
 مواقعها ، ثم أنظر كيف ذهب عنها أكثر ما فيها من التقريب بين الدعوى
 ودليها ، و التدرج من المقدمات إلى المقاصد ، و التوضيح لما يقتضيه ،
 و كل ما فيها من حسن البيان و كمال البلاغة ، و كل ما يشير إليها من
 المطالب و القوائد ، أو حل شبهة ناشت ، أو المانع إلى معارف تاريخية أو
 أخلاقية أو حكيمية ، ربما يكون بعضها أصلاً للمعارف حجة و أصول مهمة ،
 فإن خيلتها عن نظامها ، ربما تعود إلى قريب من الهديان .

٥ — رفع بعض الشبهات

تذكرة :

زعم بعض العلماء أن الكلام المنظم الذي يجرى إلى عمود خاص
 ليس من عادة العرب . فأنك ترى في شعرهم اقتضاباً بيناً ، فلو جاء القرآن
 على غير أسلوبهم ثقل عليهم . وهذا زعم باطل . فإن العرب كانوا يتلون
 بالشعر و لا يعدونه من المعالي ، و إنما كانوا يعظمون الحكماء و يحبون
 الخطبات الحكيمية و لذلك كانت الاشراف يأقنون عن قول الشعر و أن
 يعرفوا به . و إنما يتعاملونه نزرأ على وجه الحكمة و ضرب المثل . و محض
 الوزن و النظم لا يعد شعراً ، أن لا شعر مواضع من فنون الجزل و
 الاطراب ، فهو على كل حال من لُهو الحديث فمن نظم الآيات في غير
 مواضعه لا يسمى شاعراً إنما هو ناظم ، و من هذا الجانب المعروف من

حقيقة الشعر قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان من الشعر لحكمة و ان من البيان لسحرا » . أى هذا يكون على الندرة و لذلك نزه الله تعالى نبيه عن الشعر حيث قال : (و ما علمناه الشعر و ما ينبنى له ان هو إلا ذكر و قرآن مبين لينذر من كان حياً و يحق القول على الكافرين) سورة يس آية ٦٩-٧٠ .

فان تبين لك هذا الفرق بين الشعر و البيان و أن العزب لم يكن أكثر كلامهم الجزل شعرا ، فهل بعد ذلك تجعل القرآن على أسلوب الشعر و أنه مقتضب البيان كمثل ؟ ألا ترى كيف جعل الله ذلك من ذمائم الشعراء ، و قدمه على الكذب مع ظهور شناعة الكذب : فنبه على أن القول من غير غاية و عمود و نظام أدل على سخافة القائل . فقال تعالى في ذم هؤلاء الشعراء : (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون و أنهم يقولون ما لا يفعلون) سورة الشعراء آية ٢٢٥ - ٢٢٦ هل الهيبان في كل واد إلا الجربان في القول من غير مقصد و نظام . و ليس للعقل فيه رغبة ، و لكن النفس ربما تورع في الملاهي و الخلو عن الفكر فتقبل إلى ذلك كما تبيل إلى الخمر و الغناء و أشغال تغفلها عن الهسيوم و الابتكار و هذا ليس بدواء . و لكنه داء (بياض في الأصل) .

٦ - ما أنكروا من أنكروا بالنظم إلا كرهاً و لعوائق

(١) ما أنكروا بوجود النظم في القرآن من أنكروا به إلا خلاف مقتضى رضاه ، و لو لا أكره عليه لتعاضى عنه . فإنه لا يرضى عاقل أن يترك بين الناس كلاماً له ، و هو يعلم أنه يحتل النظم بل لو لاج له بعد زمان

شئ من الاختلال ، راجع فيه النظر و هذبه بغاية ما يمكنه . و كذلك لا يتم به من حسن فيه ظنه ، و إنما ينهه إذا عجز عن فهمه و لم يتم فيه نفسه بالتقصير ، فحينئذ ينسب إلى القائل إساءة الصناعة . و ذلك إذا كان الكلام من مخلوق - فاما إذا كان من الخالق تعالى و تقدس و هو محفوظ و مرتب على غير ترتيب النزول ، و أقصاه الملك الأمين إلى نبي كريم فصح اللسان من قوم مشهور بالفصاحة و البيان ، و قد قرء عليه مراراً ، و لا شك أن حسن الشئ و فهمه مودعان في تناسب أجزائه لاسيما الكلام البليغ ، و لا سيما إذا تجدى به البلغاء فعجزوا عن الإتيان بمثله و لو بسورة واحدة ، فلا أدري كيف يظن به ظنان و هو من المسلمين المؤمنين بالله و تزيده ، أنه حال عن حسن النظام ؟ و قد يناه في موضعه ببسط القول ما يمنع عن هذا الرأي البعيد . و المقصود ههنا محض الإشارة إليه .

فإذا كان الأمر كذلك ، فلا شك أن الذين ذهبوا إلى نقي النظام لم يذهبوا إليه إلا لأسباب اضطرتهم إليه . فلنذكر بعض تلك الأسباب لتعرف عذرهم و تبيح على حسن ظنك بهم و لتخرج من محض التقليد إلى معظمين من الحق . فإن الأذكياء و الحكماء لا يذهبون إلى رأى نكر إلا فراراً بما هو أشد نكارة؛ فمن لم يعرف ذلك إما أساء بهم الظن و سد على نفسه الانتفاع بهم ، أو قلدهم في أمر ظاهر الفساد فحسى و تصامم عن الاستماع لكل دليل واضح ، فإن إساءة الظن إلى دلائلك اهون عليه من إساءة الظن بأولئك الأكابر ، و إن فقلت من بعض الأكابر ما يوافق الحق اشبه عليه الأمر و ربما اتبع ما عليه الأكترون . فلذلك احتجنا إلى

ذكر بعض الأسباب المانعة عن الايقان بالنظام مع وضوح دلالة فنقول
و بالله التوفيق :

الاول : وهو أقوى الأسباب ، تبرئة كلام الله عن كل عيب وشين .
ولا شك أنه ظاهر النظام و الترتيب في كثير من المواضع و لكنهم
لو ادعوا أن كله منظم و النظم مرعى فيه ، لاضطروا في مواضع إلى
القول بعدمه و ذلك لغرضه و وقته ، فتركوا هذا المسلك و لم يحولوه إلى
قصور أفهامهم . فان منها ما وجدوه خلاف أصول النظم و يقنوا أنه
لا يمكن فيه تصور نظم ما . كما ترى في آية (حافظوا على الصلوات و الصلوة
الوسطى و قوموا لله قانتين) سورة البقرة : آية ٢٣٨ فان هذه الآية واقعة
بين ذكر متصل لأمر النساء ثم بعدها يرجع إلى الذكر الأول و لولا هذه
الآية لكان البيان على غاية الاتصال . و من بين مناسبة هذه الآية لم يأت
بما يتقبله من رزق شيئاً من الانصاف و يستمع القول فيتبع أحسنه . و
من الذين يوسنون بوجود النظام بعض من نسب ذلك إلى عجز فهمه .
و ذلك هو المسلك الاحوط . و قد كشف لنا خطأه بعد سنين فالحمد لله
رب العالمين (و ما كنا لننتهي لولا أن هدانا الله) سورة الاعراف آية ٣٠
و الثاني : و ايس بادون من الاول ، ولكن الاول يتعلق بالمصنفين
و الثاني يتعلق بالمناظرين فأكلامهم . و هو أن أكثر من ذهب إلى وجود
النظم كالأمام الرازي رحمه الله فتح في هذا الأمر الصعب بما هو أهون
من نسج العكيوت مع سبقه الظاهر في العلوم النظرية و الذكاء . فن نظر
في كلامه يقين بأن النظم لو كان كما يدعيه هذا الامام المشهر و أمثاله ،
لما خفي عليه مع خوضه فيه . و إذ لا يأتي هو و لا غيره إلا بكل ضعيف

فلا مطمع فيه لاحد بعد هولا . فاما بقي على قوله بوجود النظم ولكن ينس من علمه و أغلق بابه ، فان سمع أحدا يدعوه إليه لم يسمعه . و إما صار إلى الرأي الذي ظنه أسلم ، و هو أن القرآن إنما نزل منجما مفرقا فلا يطلب فيه نظام . (١)

و الثالث : اكثار الوجوه في التاويل و اكثار الجدل و قال و قيل ، و ذلك بان النظم إنما يجري على وحدة ، فبحسب ما تكثرت الوجوه تعدد استنباط النظام . فنظر في هذه الوجوه المتناقضة و الاقاويل المتشاكسة تحوير ، لا يدري ماذا يختار منها ؟ و أصبح في حجب من النظم الذي يجري من كل جملة في وجه واحد كمن سلك طريقاً يصادف في كل غلوة طريقاً شتى .

(١) من مخاطباته (رحمه الله تعالى) :

إنم هذاك الله ، إن من أساء الظن بهم اولى باخطأ من نصر فيه . فان سوء الظن عدا منهم متى علمت مسابغهم بولا الأذكار و لغة التورم قدا العلم التورم . فانهم لو انصفوا ليتكروا حقيهم . فان من يحرض على التورم في بحر عصق لا تريب عليه أن لم يزر بالقراند . بل يستحق المدح تبرأه . و لا تفتح بابا لي بينهم . فكم ترك الأول الآخر . و لا شك أن من حين طرقت من التلم له مسنة على الملف . فان هذا العلم لا مطمع في بلوغ تهيئه و أى علم استقصوه ؟ فان بالك بما هو بحر لا تقضى عمايه ؟ و حاسن مقام الكلام لا يعرف كلها إلا بعد استقصاء معانيه و ذلك بين أكثرها مكرراً .

فالذين أنكروا بوجود النظام في كتاب الله يا وجدوا من الكضع في كلام الغالين بالنظم للابح فيه ، و إن كانوا أقرب إلى الخطأ من أساء بهم ظنه . فانهم أيضاً مدبورون في إنكارهم لأن عرضهم ليس إلا في حجب النظام . فان عدم التصديق و ما يكون صحيحاً ولكن سوء التصديق لذلك العرض مقصود ظاهره . و لا شك أنه الكلام الذي ليس كالم على خطأ متفق . بل يجري على عدة مطالب متعينة بعضها عن بعض . عينة على أسباب عامة خارجة عن معنى الكلام كما ذهب إليه كثير من أكابر العلماء ، لا بد عن البعض من كلام قصد به الوحدة من جهة النظام لم كان على الله أو حجب الرياض . فلا شك أنف هولاء المكرين لم يقصدوا إلا تبرئة القرآن عن كل مقصده .

ولما كان ذلك - ولأسباب أخر - شرفنا أن نقنع بوجه واحد صحيح ظاهر ينظم به الكلام . ولم نجد إلا أحسنها تاويلًا ، وأبلغها بيانًا وهذا مبسوط في موضعه . وإنما ذكرناه هنا من جهة أن أكثر الوجوه من أكبر الحجب على فهم النظام ، بل عدم التحسك بالنظام هو أكبر سبب للولوع بكثرة التاويل ، فإن النظام هو الذي يوجهك إلى الوجه الصحيح . والسلف رحمهم الله لم يجمعوا وجوهاً بل كل منهم ذهب إلى أمر واحد . وإنما شاع أكثر الوجوه في الخلف . وهكذا يكون الأمر في كل علم إذا كثرت الكتب ودون العلم وسهل الطريق فيحرضون على التبحر ورفضون الرسوخ والتحقق في فن واحد ، فيحسبون تكثير الأقاويل والمذاهب علماً وهم خلوعه كما قيل : طلب الكل فوت الكل . فمن اشتغل بالتصوير وجده بعمراً متلاطمًا من الأقوال . وحفظه هذه الأقاويل يمنعه عن مسلك النظام من جهة تقاد فرصه رمت . ومن جهة أن النظام قد خفي وغل عنه في مئات الوجوه الكثيرة . بل ليرفض هذه الكتب كلها وأخذ طريق السلف رحمهم الله فتدبر القرآن والنس المطابقة بينه وبين السنة الثابتة لكان أقرب إلى معرفة النظام وصحيح التاويل .

و الرابع : وهو قريب من الثالث ، أن تحزب الأمة في فرق وشيع ، قد الحثام إلى التفكك بما يبيدهم من الكتاب ، فراق لهم تاويله الخاص سواء كان بظاهر القول أو باحدى طرق حمل الكلام على بعض المحتملات . ولا يخفى أن غلبة رأى وتوهم يجعل البعيد قريباً ، والضعيف قوياً وكذلك يفعل كل فريق ، فلكل حزب تاويل حسب مذهبه ، وحينئذ لا يمكن رعاية النظام ، فإن الكلام لا بد له من سياق ولا بد لأجزائه من موقع يخصه .

ظهورها النظام ظهر ضعف ما يميله و يجذبه إلى غير مساقته كما أن الكلمة الواحدة ربما تكون مشتركة بين المعاني المتعددة ولكن إذا وضعت في كلام منع موقعها و فرائدها من كثرة الاحتمالات و تعين منها ما وافق معنى الجملة و التأم به . و مع ذلك ليس كل نظام جديراً بالاختصاص ، بل ما هو أحسن تأويلاً . فربما يلتزم الكلام و ينسق النظام بتأويل ركيك ساطع فهذا مما يفتح باباً لدخول الأباطيل و الهوى و يخالف النظام الصحيح العالی الذى يظهر به رفيع مكانة التنزيل كما وصف الله به كتابه في مواضع لا تحصى كقوله تعالى : (يابض في الأصل) .

٧ — الزيادة على فهم من غير نظام ، من وجوه .

تذكرة :

- (١) التقريب بين الدعوى و الدليل . فن فرق بينهما لم يطلع على دليل فكيف بالتقريب ؟
- (٢) الايقان بما قد استدل عليه . (أو كالذى مر على قرية ألخ)
- (٣) المصداق . فن لم يعلمه حتى عليه ما ينط به من الأمور كما في الأمثال الثلاثة ، و اخراج المؤمنين من الشك أو الضعف إلى اليقين و الرسخ ، و اخراج الكافرين من النور إلى الظلمة ، أو كما لعن اليهود على كتمان أمر المروءة .
- (٤) وجود البلاغة من حسن التقسيم و الاشارة و براعة الاستهلال و حسن الترتيب وغير ذلك .
- (٥) زيادة الشوق و المحبة و اللذة . فالتما يحصل ذلك بقدر زيادة

المعرفة بحسن الكلام و حسن النظام و قوة الاستدلال و من فاته ذلك
 يفتق و يتبرم به و لو أخفاه فهو على جانب من العمى .
 (٦) الايتان بما أمر الله من التدبر و التفكير و التذكر .

٨ — مأخذ النظام هو القرآن نفسه

إن سألتني عن مأخذ هذا العلم قائلًا بأنك تصديت لأمر عظيم و
 ألفت دعوى كبيرة، فرعمت أن فهم القرآن لا يمكن من غير معرفة نظامه،
 و كل ما ذكرت من الحاجة الشديدة و الفوائد الكثيرة و المطالب العالية
 المطوية في نظامه، فهل تدعى وحيًا أو الهامًا؟ فتقوم بثورة جديدة بين لنا

من افادته رحمه الله :

في كون القرآن دليلًا على نفسه

« قد أسفر الصبح لذي عينين »

قال تعالى : (ألم يعلم أنه أنزل إنك من ربك الحق) من عرف القرآن من عرف الله ؛ إنما يفكر أولو
 الآداب (سورة الزمر آية : ١٦) أي من عرف من أهل النظر و المعرفة بالصيرة ليس كان لا نظر له
 ولا عقل فهو كالأعمى . ذلك أن الله تعالى أول ما خلق الذكر فبه من يتذكر و إنما يتذكر و يفكر
 من له لب و فهم فهو لا يتفكر لا يتفكر من فهم كمن عرف الحق و أحسن له شور فلا يراه و ذلك
 هنا الكلام على أن القرآن لا يحتاج إلى دليل خارجي هو دليل على نفسه كالشور كمثل الصبر

من افادته رحمه الله :

الدلائل على وجود النظام من القرآن

نظم القرآن نفسه يدل في أكثر السور على رعاية أمور لا توجد في كلام جمع على غير رعاية
 العظم (فمما رعاية القرائن كما نجد في سورة عبدة طوال)
 و منها ترجيح أيد كما نجد في الرسائل و الرحمن .
 و منها التمسك بالآيات على أسلوب ظاهر مثلا في سورة التوبة : (التائبون و المقاتلون و
 الصالحون من نفس أخ) سورة التوبة آية : ١٧٧ ترى عدة آيات بعضها مخصصة في الأسلوب الظاهر .
 و منها ربط الفعالي على وجه بين كما ترى في التمسك و بعد هذه الأمور وجود أمر أقوى
 و أقوى دلائل و لكنها مستترة من جهة التي تحتاج إلى إيمان و عقل .

أولاً بحلك و نبثنا عن مقام دعوتك حتى تنهياً لسهاك .
 فأعلم هداك الله و أرشدك أنى رجل قليل البضاعة فى العلم و فى
 نفسى أحقر من أيسر ما ظننت . إنما هو القرآن الحكيم نفسه قد دل
 على حسن نظامه ، فلا أطلب منك تقليداً أو حسن اعتقاد فى . تأمل
 فى دلائل القرآن فإنها معظم ما استدلتنا به و سنذكر لك طريقنا فيه فان
 اطمأن بها قلبك فاستغل بهذا العلم و إلا فاطود على غره . كل أمرئى ميسر
 لما خلق و كل يعمل على شاكلته . و إني لم آل جهداً فى أبضح ما يبين
 أن القرآن قد أنزل على أحسن نظام و ترتيب و مناسبة
 (يابض فى الأصل)

٩ — كيف يهديك القرآن إلى نظامه و أصوله ؟

و كل ذلك من باب حل النظر على نظيره
 القرآن قد دل على كونه منظماً لا عوج فيه و لا فطوراً من وجوه :
 ﴿الف﴾ : فيها أن الآية الواحدة تجميع أموراً و ربما تتضمن جملاً
 و لا يسوغ لمسلم أن يظن بالآية الواحدة أنها غير منظمة ، و التأمل اليسير
 يكشف عن نظامها فهذا بصير مثالا و أمودجا لأمور فجمعها جملة من
 الآيات . ثم هذا بصير مثالا لما يذكر فى جملة طولة من السورة ثم
 نجد نظم سورة مع سورة أخرى مشابها لنظم آيات جملة واحدة و لنظم
 كلمات آية واحدة فن أقر بوجود النظم فى آية واحدة و لا بد ، فلا بد أن
 يقر بما يمثله فى عدة آيات أو عدة سور : فيها جعل هذا التشابه بين
 القصص و الطوال دل بأحدهما على الأخرى .

(ب) : ومنها أن الربط الذي وجدت في موضع، تجده في عدة مواضع. ثم تفكر في مناسبة هذا الربط، فتهدى إلى حكمته مثلا ترى ذكر الصلوة مع الزكوة و الربو مع الصدقة و اتفاق المال مع بذل النفوس و الصلوة . وترى الصبر مع الصلوة والجهاد و مجانية الهوى . و ترى الصلوة مع الجود والتسك والتحر . وترى التقوى مع الايمان والشرائع و القسط وترى القسط مع التوحيد والمعاد والشرائع . وغير ذلك من الامور التي يظهر التناسب بينهما بامل. ثم تجد في بعض المواضع ما يبين هذا التناسب . فهذا لا يدلك على النظام إلا و بذلك معه على أبواب الحكمة، و النظام لا يفتك عن الحكمة و هذا مبسوط في محله .

(ج) : و منها ذكر الامور الظاهر المناسبة في موضع . ثم ذكر بعض هذه المتناسبات و ترك بعضها . فن علم المناسبة المذكورة ، فهما في موضع لم يذكر فيه و من أسلوب القرآن أن يذكر أمراً واحداً، ذا أطراف في مواضع ، فيذكر بعض الاطراف في موضع ، و بعضها آخر في آخر ، و يبين ذلك بالمثل :

قال عز من قائل حكيم في الاستدلال بحكمة الخلق على المعاد :
 (إن في خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار آيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قداماً و فعوداً و على جنوبهم و يتفكرون في خلق السموات و الأرض و بنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار) سورة آل عمران، آية : ١٩٠ - ١٩١ أي إذا لم يكن خلق هذه باطلا وكيف يكون من قادر حكيم ؟ أم كيف يكون باطلا مع العجائب التي فيها ؟ فكيف يكون أشرف خلقه و هو الانسان عبثاً ؟ كما صرح به في مواضع

فلا بد من يوم جزاء وفصل ، فحينئذ هتف العبد المتفكر قائلاً : (سبحانك) بما تذكر من جلاله وعظمته وحكمته ورحمته . (فقنا عذاب النار) بما نذكر من لزوم الجزاء اللازم من حكمته .

ثم ترى نظير ذلك حيث قال تعالى و تقدس : (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون) سورة الاعراف آية : ١٨٥ ، أى أو لم ينظروا في أن كل شيء خالق الله ، فأنما خلقه لحكمة وغاية أجراه إليها ولذلك يلقى إلى مدة فانا نرى اختلاف الليل والنهار والفصول والاعمار . أفئذناً أمة وتذهب أخرى . كما قال تعالى : (وكلل أمة أجل . فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) سورة الاعراف آية : ٢١ ، فكذلك عسى أن يكون قد اقترب أجلهم . فترى في هذا الموضوع قد أشار إلى ما أخفاه في الموضوع الأول وهو تذكر المعاد من حكمة تشاهد في خلق السموات والأرض .

ثم ترى نظير ذلك حيث قال سبحانه وتعالى : (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب . أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد . قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ . بل كذبوا بالحق لما جاءهم ، فهم في أمر مريج . أى في شك من نيا الحق وهو الجزاء والمعاد كما بينه وتبينه على دليله فقال : أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بينامنا وزيانها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي واتبنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . أى هذه مظاهر القدرة والحكمة بعظمتها ومحاسنها . تتفتح البصر وتنبه القلب

من كل عبد يئيب من روية الصنع إلى صانعه . ثم من جسمه الاخلاق
 يومن برحمته كما بين بعد ذلك فقال : **هـ** ونزلنا من السماء ماء مباركا
 فانبتنا به جنات وحب الحصيد . و النخل باسقات لما طلع فطيد . رزقا
 للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج . سورة قه آية ٦ - ١١ في هذا
 الموضوع فصل من دلائل السماوات و الأرض ما اكتفى بالاشارة إليها في
 الموضوع الاول و الثاني و لم يذكر في الثالث من تفصيل الاباية و التفكير
 ما أوضحه في الاول و هذا الامر هو المراد في وصف القرآن حيث قال
 تعالى : (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني) . سورة الزمر .
 آية : ٣٣ فجملة . مثاني . يأتي بأمر واحد مرة بعد مرة . يشبه بعضه بعضاً .
 و العقل ينتقل من الشبه إلى الشبه فيتصور ما لم يذكر لانه قد تذكر من
 الشبه و التفت إلى شبيهه الذي قد علم منه ما لم يذكر و ترى ذلك كثيراً
 في القصص (يابض في الأصل)

١٠ - من فوائده تعليم الحكمة

تعليم أصول الفكر الفطري

تذكرة :

ليست الحكمة إلا تربية النظر و الاخلاق . و قد استعمل القرآن لذلك
 طرقاً شتى :

﴿الف﴾ : فمن جهة كونه متشابهاً ومثاني ، حيث النظر على الانتقال
 من النظر إلى النظر .

(ب) : و عملي تصور البعض من بعض آخر . و هما من طرق
 الفطرة الأولى ينتقل العقل من العلامة إلى ذي العلامة و من المثل إلى المثل .
 (ج) : حذف بعض المقدمات . فربما يذكر الطرفين و يترك
 الوسط . و ربما يكتفى من الأمرين باحدهما . و ربما يكتفى من أربعة
 أمور فيها مزدوجان بأمرين فيأخذ من كل مزدوج زوجا . و هذا يحدث
 الاستدلال بالزوم . و هو الأصل الأعظم في فطرة العقل و يقتضى التدبر
 و التفكير و قد جاء في كلام العرب قبل الاسلام
 (بياض في الأصل)

من افادته ورحمه الله :

الاستشهاد على النظام بالنظام

قال الله تعالى : (الله لا اله الا هو ، له يسجدون يوم القيامة لا ريب فيه و من اصدق من
 الله حديثاً) (سورة النساء آية : ١٥٧) أى أشهد الله على هذا القول و ذكر في الالتهاد كونه إلهاً واحداً
 و ذكر قبل هذا أنه على كل شئ حساب . و الربط بين هذه الجملات يظهر بأمثل .
 فهل نشأ أن هذه الفقرات تراك على أوقات مختلفة لأسباب مختلفة ؟ أو أنها صمدت من غير
 ربط ؟ فان كان فيها ربط فلا بد من النظر فيه . و لا يعثره قصورا فهاتما . قرأ الآية مفيدة
 و ظاهرة فيها تسوق إليه . وإنما تدبر بجلى أسراً أيضاً . ألا ترى ان الله خلق الأشيا فلم يزل
 الانسان يخلق بها ولكن الانتفاع يزداد لعل و يزداد زيادة الفكر فهكذا الأمر في كلام
 الله تعالى .

قال تعالى : (و هو في أمر كلئ . و ذلك أنك تجد الكتابات المنقولة ربما تعقب ما تدفع
 تحنها من الوقائع على سبيل التمثيل و التشبيد في سورة واحدة . ثم ترى السور قد ضمت بعضها
 بعض على هذه الحسبة فلا ترى في سورة الشمس و الدهر الوقائع بعد الكتابة و هكذا ترى في
 السور الطوال ثم ترى مثل ذلك في ضم سورة الأنفال و العنابة بما قبلها

بإحدى المتناسبات على اخواتها .

ج : و من أمثلة ذلك أن الذين أنكروا بالنظم في القرآن لم يقنعوا بذلك ، فإن هذا الإنكار كان بناؤه على عدم التمييز بين الحق والباطل فانهم هم الذين قالوا بمثل ذلك في أمور أخرى فابطلوا الحكمة ، و عطلوا العقل ، و أنكروا بالعدل . فكل ذلك من منشأ واحد و هو الخلق الذي غلب عليهم من العكوف على الظاهر ، و الخوف من أن يمدعهم العقل ، فاتقوا باغماض عيونهم عما خافوا أن يختلف أبصارهم .

ما جعل الله الرهبانية والتعطل في شيء من هذا الدين التقطري الكامل فليس يمدح أن تعطل العقل و هو أكبر نعم . كما أنه لا يمدح أن تعطل السمع و البصر . نعم لكل قوة مجال و مقهى فلا ينبغي استعمالها حيث لا مجال لها . وليس هذا موضع هذا البحث وإنما المراد محض التمثيل لتزويج الشيء إلى مثله . .

١٢ — في نظم القرآن دليل على نظم الديانة كلها

القرآن هو الاصل للاسلام و الايمان أى الشرائع و العقائد . قال تعالى : (و كذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً هدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) سورة الشورى آية ٥٥ . وإذ كان القرآن على المطابقة التامة للدين ، صار النظر في نظامه باعتباراً على النظر في الشرائع و العقائد . فما كان أصلاً و أساساً ، به القرآن على كونه كذلك . فإذا تدبرت في القرآن هديت إلى حكمة الدين و نظام أمره .

مثلاً : القرآن دل بنظمه على أن الشكر (١) هو أصل الايمان
و يتدرج تحته الشرائع كلها . و ذلك بان من رأى آيات الرخمة والحكمة
و القدرة ، عرف الرب تعالى بكونه رحيمًا ، حكيمًا ، قادرًا ، عزيزًا ،
عادلاً ، فشكره وحده وطلب رضاه ، وخاف عظمه وعذابه ، وحينئذ تحقق
ايمانه وعبوديته . قال تعالى : (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم و آمنتم و
كان الله شاكراً عليها) سورة النساء آية ١١٠ . فدل على كون احساس الشكر مقدما
على الايمان بالرب الرحيم . و إذ كان كذلك جعل الله سورة الحمد فاتحة كتابه
و كذلك جعل الحمد أصل الصلوة و فاتحة الشرائع و الاسلام .

ثم لما كان للشكر مظاهر و مواقع ، و كان له ركنان : تحدث بالنعمة
و تحميد للمنعيم . و الثاني نذر و قربان بما رزق . صار الاحسان إلى
الخلق و الاتفاق في سبيل الخيرات جانياً آخر للصلوة . فصار منح الزكوة
أقرب إلى الكفر كترك الصلوة . و هكذا فهم أبو بكر رضى الله تعالى عنه
قبل سائر الصحابة . وإنما فهم ذلك من نظم القرآن كما ذكر ، و قد صرح
المسيح عليه السلام بذلك فقال في رواية مرساة بعد وصية الاخلاص في
التوحيد و الاحسان إلى الخلق : « ليس وصية أخرى اعظم من هاتين » . و في
رواية متى : « تحب الرب الملئك من كل قلبك و من كل نفسك و من كل

من اقداره و رحمه الله :

(١) في البخارى : « ما أعطى أحد عظام خيراً و أوسع من الصبر »

أقول أما الشكر فهو لا يكون إلا بالصبر . ثم الشكر من المنعم عليه بالصبر من الغضب . ومن
صبر ، تكف لا يشكر ؟ أما الصبر فهو بقاء على الصبر من وجه و بيننا لازم من وجه . فالتسوية
الرب تعالى بصفة الرخمة و الاتمام هي أول المعارف . فإقول ما يشاء هو الشكر و مدح عظمة الرب
تعالى و ترجمته الخالق له ، و هناك يوم حبره على الغائب . فكان الشكر والصبر معا في العبرة
و لكن يوم الشكر كان أقدم و يوم الصبر على آتوه .

فكرك، هذه هي الوصية الأولى والعظمى والثانية مثلها، تحب قرينك كنفسك.
هاتين يتعلق الناموس كله و الآيات ، أى القرائض و السنن . فهذا عين
ما دل عليه القرآن نصاً و نظماً .

و بالجملة إذا نظرت فى نظم الآيات و مطالبها ، و السور و عمدتها
هديت إلى نظم الشرائع و الأحكام
كما أنك إذا تأملت فى الشكر علمت أنه معنى الإيمان بالرب الرحيم ،
وكذلك إذا تأملت فى الصبر هديت إلى أنه أساس الإيمان باليوم الآخر ،
وهذان ركنا الإيمان وأما الركن الثالث و هو الإيمان بالرسالة ، فحائب منه
يندرج تحت الإيمان بالرب الهادى الرازق . و بجانب منه يندرج تحت الإيمان
بالرب العادل الحكيم .

و إذا علمت ذلك ، هديت إلى أن الشكر و الصبر يحيطان بجميع
الشرائع و خصال الخير . و ترى الدين كله ذا جانبين : جانب منه من الشكر
و جانب منه من الصبر ، و وسائط آخذة نصيبها من كليهما . فالصلوة و
الزكوة و الخشوع و بر الوالدين و الطاعة و ابتداء ذى القربى و الاحسان
العالم من الشكر . و الصوم و الجهاد و العفاف و الحلم و ترك الفضول و
التوكل و الحسنة و التقوى من الصبر . كأن الشكر و الصبر قائدان لجنودهما .
ثم ترى كل واقعة ، إما تدعوك إلى شكر أو إلى صبر قال تعالى :

(إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) سورة ابراهيم آية : ٥

و أعلم أن الشكر اتسب بالادامر و الصبر بالنواهي . و إنما قدم
الصبر على الشكر لكون التقوى مجلبة للقلب ، فغير المتق الظالم يحرم الحس
بالشكر . و من بعض الملاحظات للشكر تقدم على الصبر ، فإن الشكر يهدى

إلى الطاعة و الصبر تثبيت .

وأعلم أن الشكر يتعلق بالماضي والحاضر والصبر يتعلق بالحاضر والمستقبل
وأعلم أن الشكر نسيب النعمة و الآين واليسر ، والصبر نسيب المصيبة
و الشدة و الضر ، فهذه ملاحظات التقابل بينهما . وبق النظر فيما يتعلق
بالصبر على حدثه و فيما يعصها فأقول و بالله التوفيق :
اعلم أن من الصبر ما يكون على مصيبة زائلة ، فالصبر فيها على
الصدمة الأولى .

و من الصبر ما يكون على إمساك النفس على التقوى فهي دائمة .
و من الصبر ما يكون لانتظار ما وعد الله .
ثم من الصبر ما يكف عن الشهوات .
ومنه ما يكبح العقل من العجلة . كما وقع بموسى عليه السلام فلم يصبر .
ومنه ما يعالجه المصلح فلا يمرض عن المذكورين أو يصفح عن
أذامهم . وربما يفرط في ذلك كما وقع بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فعنه
الله تعالى عنه . . . فلم يخرج عن الصبر و لكن تأذى و كابد شدة الحزن ،
فصبر تجلداً . و أما موسى عليه السلام فكان أصبر على اذى أمته ولذلك
أمر الله نبياً باتباعه في ذلك (يبايض في الاصل)

من أفادته رحمة الله :

الصبر

قول فضة أنبياء أمه العرب ، حر الصبر الجس . و هو جماع الضائقر . و هو أحسن دراية
أبراهيم عليه السلام . و أرض العرب أصلح تربية هذه النخبة حتى ترى حيواتها و أشجارها
أصبر من بني نوحها في سائر الأراض .
و لا كان بلد الإسلام على الصبر . كان الإسلام أصلح بظفرة العرب و لا كانت أرض العرب
سالمة لطابع أهلها . إذا خرجوا منها أخرج السواد إلى طالهم . فكان تعرف حلاكتها . ولذلك
قال النبي صل الله عليه وسلم ما مناه : أنه يخاف عليهم كثرة المال .

١٣ - الحاجات إلى معرفة النظم

(١) اعلم أن الأمور (كما سبق) ترتبط إذا نظر إلى أمر عام شامل ، و العام عال جامع . فيهدى النظم إلى معالي الأمور و حكمها و هذه المعالي هي الحقائق و الغاية . فمن لم يعرف النظم جهل الحقائق و الغايات و الحكم ، فقل حظ في طرفي الاعتقاد و العمل .

أمثلة المعائد : فقلة المعرفة بصحتها ربما توقع في سوء الظن بالرب تعالى و تصرفه عن النسبة الصحيحة بربه تعالى . و أما الاعمال : فإفلاك أمرها بالنيات و كلها متفرعة عن المعائد . فقلة المعرفة بحكمها و غايتها ربما تسد عليه باب الاتيان بها كما ينبغي ، مثلا عدم الذكر في الصلوة و عدم التقوى في الزكوة . و ربما تصرفه عن وجهه بالكلية غير امتثال ظاهر العمل كما يقع في أعمال الحج لكثير من الناس ، و الله غفور حلیم كما هو شكور عليم و هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون ؟

(٢) لما كان أكثر الحكم و معالي الأمور محبوبة تحت دلالات النظم ، فمن ترك النظر فيه ترك من معنى القرآن معظمه . و القرآن حكمة و نور ، و قد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك في قوله : « الا انى أوتيت القرآن و مثله معه على أكثر » (أو ما يشبه ذلك) و ذلك هو فهمه و هو بحر لا ساحل له . و منه فهم النظم فان المعاني تكثر بعد ذلك .

(٣) بعث الله نبينا لتعليم الحكم كما بعثه لتعليم الأحكام . و ربط الله الزكوة بالحكمة و سماها خيراً كثيراً ، فمن غفل عنها و قف دون غاية هذه البعثة و اكمال دينه و تعليم فيه و لم يتبعه كما ينبغي . و ليس كل أمرى

ينال غاية المطلوب . و لكن ينبغي لنا السعي و يعطى الله فضله حسب ما سعى و استعد .

(٤) إنا وقتنا في اختلافات شديدة في تأويل القرآن . ثم اختلفت عقائدنا و قلوبنا و الفتا . و النظم برء الأمور إلى الوحدة و ينفي تناكس المعاني . والاتفاق والائتلاف اعظم مطلوب للنيل إلى أعلى مدارج الانسانية .

(٥) القرآن أفضل آيات شاهدة على نبوة خاتم النبيين ، و أبقاها و ايينها و أهداها . و تعلم باليداهة أن حسن الترتيب من أكبر محاسن الكلام البليغ . و نحن نوقن باعجاز القرآن ، فهل نرضى بأن يكون عارياً عن حسن الترتيب ؟ و كيف نترك النظر في فهم رباط معانيه و اعتناق بعضها ببعض ، و اتفاق ترتيبها ؟ الامراك لا نرضى بأن تجعل كلام عاقل رزين مخالفاً عن ترتيب فيه ؟ و ربما يحبط عندك قدر خطيب مصفح أتى بضون من البلاغة و أثر في النفوس بخلافة بيانه ، لمحض أنه ذهل عن ربط الكلام ، فهام من واد إلى واد . و هو معذور ، بأنه ألقى الخطابة عفواً و لم يعمل فيها النظر و الروية و ليس ذلك إلا لأن الكلام البليغ لا يجعل سوء الترتيب . فان كان الأمر كذلك أليس على الموقن باعجاز القرآن أن يثبت حسن فظه و احكام ترتيبه ؟ قال الرازى رحمه الله تعالى في تفسير سورة الانعام تحت آية : (وإذا جاءك الذين يومتون بآياتنا) بعد ذكر اختلاف الروايات في سبب نزولها ، فقال رحمه الله تعالى : . ولى ههنا إشكال ، و هو أن الناس اتفقوا على أن السورة نزلت دفعة واحدة ، و إذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن أن يقال في كل واحدة من آيات السورة أن سبب نزولها هو الأمر الفلاني بعينه . وقال رحمه الله

أصبح و أشد من ذلك في تفسير حسم السجدة تحت آية (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لآية) .

(٦) من أجل ما تمسك به الطاعنون في القرآن أنه أسوء الكلام ترتيباً (واضح في الأصل)

من أفادته ورحمه الله :

المكر للنظم ، لا مخصص له من أحد . ثلاثة أقوال :

أما أن يقول مان السورة ليست إلا آيات حصت بعد النبي صلى الله عليه وسلم من غير رعاية ترتيب كما وجدته في أيدي الناس . و إما أن يقول بأنها اختل نظمها . لا أن الآيات التي أدخلت بين الكلام المرصوف ، فليست لنظم . كلا القرين ظاهر لبطون وعنى على الجهل الفاضل ^٢ بجمع القرآن و ترتيبه و مواقع الآيات المنبثقة و المنصبة بعد التوراة الأولى .

أما الأول فلأن السور كانت متطرفة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم و أمر الله النبي بال تلاوة حسب تلاوة جبرئيل كما صرح به القرآن . و قد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الناس السورة بانظام و يسمع منهم فيها القرآن المنسوج في الصحاح ليس الاعلى تسقى بها . و جبرئيل عليه السلام يقرأ على النبي في تلاوته الأخيرة ، لو صح ما وضع ما وضع ثم أمر الله نبيه باتباع قراءة جبرئيل و لم كان يامر بوضع الآيات بمواقعها الخامسة ؟

و أما الثاني فلأن الآية المقدولة لا تقطع لنظم إذا أدخلت في موضع يليق بها . و الآيات المقدولة كلها مطروحة الرابطة بما قبلها أو بعدها . و قد قال تعالى : (كتاب أنزلنا ثم فصلت من لحن سكيم عليم) (١) أن يقول بان الله تعالى لم يرد أن يقول كلاماً منظوماً ، كما لم يرد أن يقول شعراً أو قصيداً أو غير ذلك مما يراد فيه النظم من البدائع و النكف إنما هو كلام أريد به التداوية و الحكمة فأقول حسب ما اقتضت الأحوال من الدلائل و الشرائع . و ربما اجتبع التقديرات من وجوه مخالفة فأقول مراداً بذلك الوجوه المتباينة ، سورة حاشية لطالب حاشية . استجيب إليها في زمان نزولها و الأحوال و الظروف و التمسكها بجمع من حال طليحة في زمانها واحد . فالسورة بجمع حلالاً تكون على حدتها في غاية الحسن و النظام و أما مخرج هذه الخلق فلا معنى لاختصاص النظم فيه . و قد بين ذلك بعض أكارم الدلائل بأقواله . لو لا رعاية النظم فيه لما وجدنا الكلام المنطوق ميباً على اصناف جامع أو كلمة نظيرة إلى كلمة سابقة بيده خالياً . مثلاً و هدى لمدقين و قد سبق في أول سورة البقرة ثم جرى الكلام حتى عاد إلى ذكر أول القدرى ثم قوله تعالى : و أولئك الذين صدقوا و أولئك هم المفلحون . فاعلم أن ما سبق : و انشأه في نظم ما جهوا به في ما بعد ذلك بين أن ذلك ليس بخصيص للانفاق و لذلك أمثلة كثيرة أوضح ما ذكرها .

١٤ - الوسائل إلى معرفة النظم في القرآن (١)

أهمها : التدرج

كما أن النظر في اشتمات أمور العالم من غير تأمل في تناسب بعضها ببعض ، يعنى عن الحكمة التى فيها و يجعل على الإنكار بالمدير الحكيم ، وكذلك من قصر النظر على الحوادث الخارجية أو الوقائع التاريخية و لم يتفكر فى عطلها و آثارها فى النفوس ، لم يمتد لما فيها من المنافع و رعاية الحكمة . فهولاء إما ذهبوا إلى الإنكار بالاله مطلقاً و إما إلى ما هو قريب منه و هو القول بالجبر و فى رعاية المصالح ، فإن ذلك يتضمن إنكاراً بالرحمن الرحيم .

(١) لأنك فى أن الكلام بعض أساليب شتى ، فيها ما لا بد من الأساطيل بالاحتياط لشدة الظلم . و هى : المذهب . و الجاز . و تبديل الخلق . و الاعتراض . و التناقضات ، فهبلى لظلم معرفة الظلم الظل فى وجوه هذه الأساليب .

تلك الكلمات وجوه من التناقض و نقصة .

(٢) فربط طرق من نسبة التنازل ، و نسبة العموم و الخصوص ، و بيان المصلح . و فاع دخل مدرس . و نسبة التعاضد ، و نسبة الأصل و الفرع و غير ذلك كما هو مبسوط فى موضعه (منه رحمه الله تعالى) (١١) .

(١) تفصيل هذه المباحث فى كتابه الأساليب . ولكنه غير مطوع . يطلع عن قريب إن شاء الله تعالى . (الجامع)

من أفادته رحمه الله :

أمثلة ظهور التاويل من رعاية النظم

تورد عليك أمثلة لتري كيف شئ التاويل عند المفسرين و اشتقوا فيه . ثم رعاية الظلم بيده واضع . و أيضاً أن تدار رجوعا المعنى الذى يوافق بالنظم .

(١) فى سورة التور قوله تعالى : و لا تجعلوا دعا الرسول ينسبكم كدعا بعضكم بعضاً ، ذاك الرأى رحمه الله : و فيه وجوه (أحد) و هو اختيار التبريد و التثقال . لا تجعلوا أمره إياكم و تطاره لكم كما يكون من بعضكم بعضاً ، إذ كان أمره فرجاً لا رماً . و الذى يدل على هذا قوله عقيباً هنا . فليجدر الذين يتأولون عن أمره . (و تبيينها) لا تتادوه كما ينادى بعضكم بعضاً .

فكما أن النظر في الأتفسر والآفاق و مجارى أحوالها على قديم ،
 وكذلك النظر في كتاب الله المنلو فن نظر في مطالب الآيات على حديثها
 و لم يتامل في منامية أجزاء السورة ، عميت عليه الحكمة و حسن نظامها
 من جهة البلاغة و الاستدلال . بل لم يجد مخربا عند احتمال المعاني ،
 بل ربما اختار التاويل الباطل لما تعلق به بعض رأى زائغ أو فذهب
 مرعوح أو عقيدة فاسدة . فكان في ظلمات بعضها فوق بعض . و أشد
 وأظلم من كل ذلك أنه يفتح للمبطلين و المبدعة أبواباً لتاويلاته الفاسدة .
 قسى منهم من ياول القرآن ، فيضل الناس بمحض رأيه ، أو يفتي نفسه أنه
 اعلم بحقائق الأمور و أسرار الدين . و لكن من تدبر في القرآن و نظمه
 الحكيم . اطلع على حسن نظامه ، و اعجاز بلاغته ، و دقائق حكمته ، و
 فتح عليه باب عظيم من المعاني . و كان على نور عند احتمال التاويلات ،
 فاحتمار ما هو الحق الواضح و لم يتمم مع في نيل الباطل و نورد بعض
 الأمثلة ليتضح لك الأمور التي ذكرناها
 . . . (ياض في الأصل)

★ يا محمد يا أيها تقاسم . و انك قولوا يا رسول الله يا أي الله عن سيد بن جبير رضي الله عنه .
 (و قالها) لا رضوا أحوالكم في دعائه و هو المراد من قوله ، إن الذين ينشون أحوالهم عند
 رسول الله . عن ابن عباس رضي الله عنه . (و راعيا) استنروا دعا الرسول عليكم إذا احتضموه
 فإن دعائه موجب وليس كدعاء غيره و الوجه الأول أقرب إلى نظم الآية .
 قال العراقي و لكن المعنى أن الرسول إذا دعاكم فلا بد أن تاتوا إليه ، إن كان لكم أو عليكم
 و تسعروا و تقيموه و لا تغيبوا قول أن ينض الرسول ما لأجله دعاكم . فان خلافة أمره لهم
 داخل البرد و اتصال أرواحها دعا لغيره و لم يقبله الزوى . فان الدال على هذا المعنى تمام هذه الآية
 و هي : (لا تجعلوا دعا الرسول ينك كدعا . يستنك دعاء قد يعلم الله الذين يسألون منكم لوفاة .
 فليحذر الذين يشغلون عن أمره أن استنهم فتة أو يهتبه عذاب اليم) و الدليل الواضح على
 هذا المعنى ما مر من آيات ٥٧ - ٥٢ في هذه السورة .

استنك
 والجاهد

١٥ - إن للقرآن ظهراً و بطناً

قال الله تعالى : (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ، سورة البقرة آية : ٢٩ . ونحن تعلم أن في الأرض أشياء بها نتمتع ، و أشياء ما كنا نتمتع بها لجلينا ، و لكن زادنا الله علماً فانفتحنا بها ، و كم من الأشياء بقى مخفية فرائده ، فتستزيد يوماً فيوما معرفة بها ، فتتمتع بها و قد بقى كثير . و كذلك العلوم تستزيد منها يوماً فيوما إلى ما شاء الله .

فكذلك القرآن وصفه الله تعالى بالآبانة و كونه نوراً و تفصيلاً . و مع ذلك وصفه بكونه محل التدبر و التوسم و التفكير ، و أنت تعلم أنه كذلك ، فإنه لم يزل نافعاً مادياً ، ظاهراً و مع ذلك محلاً لغراض الحكم و منبعاً لنقائض الأدب . و ما من علم إلا فيه التدرج من المعلوم إلى المجهول بالآ ما يبلغ ، فكذلك قال الله تعالى : (و الذين اعتدوا زادهم هدى و آتاهم تقواهم) . سورة محمد آية : ١٧ . أى زادهم علماً و صيلاً . فالقرآن له ظواهر ، بها تهتدى فيسير ما وراهها ويصير الباطن ظاهراً .

و هكذا تخرج من درجة إلى درجة ، و ما تنقضى عجائبه . و لسكنا غلبنا أن الظواهر تبيد ما بطن ، و لا تحرف الكلم عن مواضعها و لا تجعل للقرآن معاني خلاف الظاهر ، و لكن ينجلى أمور ظاهراً . كما أنك قرأت بيتاً و علمت معناه ، ثم تفكرت فوجدت فيه صنائع و بدائع ، ثم تفكرت فعلمت أن المعنى أصدق شيء و أفصح من كثير من الحكم ، فكلاماً تدرت ما وجدت شيئاً خلاف الأول و لكن زيادة ، و ما بدلت معنى فيجسده أولاً ، و لكن انكشفت لك حاسن البيت .

أو كما رأيت قصراً من بعيد متناسب الأركان ، ثم قربت منه ، فكلم

ازدادت قرباً ، ازدادت لك محاسنه من تركيبه و نقوشه ، حتى انك دخلت فيه فوجدت من الالاث و المتاع ما تقر به عينك و تكد به نفسك . فان سكنت القصر وجدت حجارته وضعت حيث يشرح له الببال و تصالح بشؤنك في الحر و الفر . وترى فيها الخمامات و المضامج و مواضع المعاترة و الخلو و مشاغل طية و مآكل للذبة و مشارب سائغة عذبة . ثم بعد زمان وجدت في بعض الزوايا باباً خفياً و عثرت على مفتاحه ، فزلت في خزينة فيها ما لا تحصى من الدر و الياقوت و كل ما يبغى سعره فازددت سروراً و غبطة حتى بلغت مالا عين رأته و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر (يابض في الاصل)

من افادته رحمه الله :

(١) ان الله تعالى جعل الظاهر سبباً الى الباطن . و حل هذا الاصل جعل للتظام ظواهر ، تهدي الى البواطن القواض . فاول ما تجلب ففكر الى النظر في استنباط المقام مواقع الصفات . فانها تضمن امراً كثيرة . انظرها : مثلث و الاستدلال ، ثم الاستدراك
(٢) ان قرآن كثيراً ما يدل على الامور بالدلائل الضمائية . و هذا الاصل يكلف علينا كثيراً من المعارف . مثلا قوله تعالى : (تنزيل العزيز الرحيم) سورة يس آية : ١ دل على انه تنزيل الكتاب يتعلق بالرحمة و هو ظاهر . و بالضرورة و هو ان المنكر به يذوق العذاب . و ان ذلك من الضرورات لان صفات الله واجبة الوجود . لهذا هذا انظر فيها بشر . تجده و انما لما قدمنا .

(٣) الرحمة بخ المذنب و هو الحق و يشير الى ذلك قوله سورة : (العزيز الرحيم) و مرة : (العزيز الحكيم) و مرة : (العزيز الجيد)
و في كل سورة من حقيقة و حسن تخصبها ، فلا بد من التوجه الى هذه الخصائص .

(١) كان الله تعالى خلق كل شيء للانسان، ولكن لم يجعل للانسان نصيباً منه إلا حسب ما سعى . فكذلك لا يكشف القرآن له إلا حسب ما تفكر . و القرآن واضح بين . لأنه أقرب طرق اليان ، كالشمس واضحة لدوى الأَبصار . و الكفر عَمى القلب كما بين الله في مواضع . فيها : (و إذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) «سورة الاسراء آية : ٤٥» فليتنس المرء قلبه هل له الايمان الصادق بالآخرة ؟ فان وجد هناك الايمان ، وجد نوراً لفهم القرآن . و علامة الايمان بالآخرة ، التزود لها و التبرم بالدنيا إلا من جهة التزود . فان من علم أنه ابن الملك و وارث السرير ، نابه المنزع على المزيلة . و هذا ليس من بطن القرآن بل من ظواهره .

(٢) أما بطنه تحت الظاهر ، فهو من جهة أن الحق يوافق اخوته . ولكن الباطل له اضمحلال إذا جاء الحق المتاح له . فان الله تعالى جعل لكل ظلمة نوراً كما أنه جعل لكل عقدة حلاً . و لو لا غلبة الحق على الباطل لتسارى الامر ، وكان الهين بل آفة ، لاختلاف بعض الباطل بعضاً . و كانت الدنيا لعبة ، خالية عن كل حكمة و نظام ، بل فسدت ، لان الاباطيل لا صلح بينها ، فوجود الدنيا شاهد على حكومة الحق وثبوته ، و على وجود مبدئه و هو الحق العلى . و قد أخبرنا الله عن هذا فقال : (جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) و بين هذا الدليل في قوله : (و ما خلفنا السماء و الأرض و ما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهم آياتنا

من لينا (أى لما أوقفناكم في مصيبة) إن كنا فاعلين (أى هذا بعيد في نفسه عنا) بل نقذف بالحق على الباطل فديمته فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون . و له من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون . يسجدون الليل والنهار لا يفترون (أى الملائكة عباد الله فليس منهم اله و مشغولون بالتسبيح فليس لهم لعب) أم اتخذوا آلهة من الأرض هم بشرتون (وكذلك حال من في الأرض . و زاد على ذلك أنهم بشرتون فلا يصلحون للالوهية) لو كان فيها آلهة إلا الله افسدنا فسبحان الله رب العرش عما يصفون (سورة الانبياء آية : ١٦-٢٢ ، فهو الواحد المتصرف و له العرش . أى مركز حكومة السماء و الأرض كما قال : (وسع كرسيه السموات والأرض) فانظر و تأمل هذا الدليل . فاذا كانت الحقائق توافق بعضها بعضاً ، فكل حق ينكشف لك ، يكشف لك عن مناسبة جديدة بين هذا و بين ما عندك من الحقائق المعلومة من قبل . فكلما ازدوت علماً واحداً ، ازددت علوماً في ما علمت . و هذا أمر مشاهد في العلوم الدنيوية ، فانكشف واحد يفتح أبواباً لانكشاف حجة ، و لذلك ولوع العلماء بكل حق و إن صغر . فانه تعظيم لعظم ما يهدى إليه به .

(٣) فهكذا الأمر في القرآن ، فانك كلما زدت علماً رفع لك ستر عن معانيه ، و ليس لاحد أن يأول القرآن بما لم يثبت من الحق و نقي عليه جباب الشك . فانه سيندفع عما هو ليس بحق . و لذلك ترى حماقات من أتوله إلى هواجس نفسه و احلام رأسه . و وجب التسك بآياته البينات المحكمات و ما ثبت من الاخبار المستفيضة وكذلك وجب التسك

بكل حتى انكشف حتى الانكشاف من أى علم كان ، لا بما يهدونه لخسبة
 سعيهم فلثاً و ادلالاً به . فهو ليس إلا الرأى و التخمين و لا يتك مثله
 خبير . و من ههنا خشية العلماء الراغبين فى العلم ، فانهم لا يقدرون فلا
 يعرفون إلا على ما تهرمن ، فيحجمون عما يتورط فيه المقلد المعجب . بما
 رافقه من زخارف الباطل ، و عم إلى القول . بلا اعلم . اميل ، كما سمعت
 من ابي بكر رضى الله عنه و ما لك . فقال الاول : «أى أرض تقلى و
 أى سماه تظلى إن قلت بما لا أعلم .» و قال الثانى : «عندى من - لا
 أدرى - ما ، لو كان مثله عند أحدكم من الابل كان غنياً .» بعد التجنب
 عن القول بالرأى المحض والظن الكاذب لم يبق إلا الحق الثابت الواضح .

(٤) فان علمت أن كل حق يوضح لك وجهاً آخر لمعاني القرآن موبداً
 ومثبأ وموضحاً لما عندك من الحقائق الثابتة . و يجب لأجل فهم القرآن طالب
 كل علم صحيح وهكذا هدانا نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال : « الحكمة
 خذالة المرمن . و من أجل ذلك ترى الصحابة متهورين بالعلم و كانوا يسمعون
 و يسألون ما لا يعلمون . فان الله تعالى قسم نعمه بين الخلائق ، ليتعارفوا و
 يتعاقفوا . فان كان عندك ذر فافخر فكم عند الله أنفخ منه ؟ كما قال تعالى
 (و فوق كل ذى علم عليم) و فى قصة موسى أبلغ نصح لك . وكذلك
 فى قصة آدم . فليس رجل و إن كان نبياً ، أرفع من أن يتعلم . و لا
 ينقص السؤال من منزلتك بل يزيد فيها ، و ليس لك أن تقول عندى
 كفاية و حسبنا القرآن . نعم ، القرآن حسبك كما أن الله تعالى حسبك .
 ولكنك لست أنت حسبك من مسائل ، ساع و ليس للانسان إلا ما سعى .
 أليس نور الشمس حسبك ؟ ولكن أخرج من ظلمات و ستر . فكل جيل

ستر و كذلك كل حق نور .

(٥) ثم في القرآن دلائل إلى ما غمض و لذلك أصول :

١ : النظر في نظمه ، فلا يربط الكلام إلا بأمر مشترك عام عال كالصلوة و الزكاة قالت وربطهما بالحجة فإذا علت أمهما هديت إلى الحج جامعاً لها . ثم علت أن الصلوة و الزكاة كالتأهما طهارة و هذا بحث طويل تجده في باب النظام .

٢ : الاستدلال بالتامل في جذر الكلمة تاملأ مستقلاً ، مثلاً أن الله تعالى سمي الزكاة صدقة و زكاة ، و الصلوة ذكراً ، أو سمي نفسه الهاً و صمداً والكفر ، كفراً و الاسلام ، اسلاماً ثم أشار في بعض المقام إلى حقيقة معنى اللفظ كما قال : « فلما أسلمنا و تله للجبين » و قال : « إما شاكراً و إما كفوراً » و كما سمي مكة ، بمكة لكونها بناه ابراهيم عليه السلام .

٣ : الاستدلال بالواجب للشيء ، كما فعل أفلاطون و هذا مثل المعراج ،

تخرج من معلوم إلى مجهول .

من افاداته رحمه الله :

القرآن طاهر من جبهة جلالة و باطل من جبهة ظلم الخلائفة . فإن ظلم الظالم يبنى على فهم مناسبة بعضها ببعض ، و ذلك كما ترى في العالم .

و المناسبة تكون على وجوه . و تدرك حسب انقسام الناس . و لابد من اختلاف ، لمدارج الناس في العلم و قوة الاستيعاب . بعض الوجوه يظهر على بعض الناس ، و بعضها على بعض . مثلاً قوله تعالى : (و السابيا بيناهما أبداً و إنما المؤمنون) (فهذا ذكر سبعة التوبة) و الأبرار و رشتاهم نعم المقادير (و هذا ذكر سبعة رحمة و حكمة) و من كل شيء خلقنا زوجين (هذا ذكر حكمة و رحمة بما خلق الله من جنسها و جعلها دليلاً على قدرته و الحكمة و الرحمة و التوسيد ، فلا تفتد من آتاكس العاقبة و الثور ، و الحزن و السرور ، و النحل و الحرور إلا بالصوف ، يلرب تقدير الثور فقال) (فقرأ إلى الله أني لكم منه خير حين)

ومثلاً قوله تعالى : (و انصبر و انك عسر . . . إلى آخر السورة) بين كيف ركب الله الخلق من الأختار و جعل ذلك ليبل الأنسان . حتى يصير حساب النفس المطمئنة بالصبر و الصبر ، يكون عبداً تام العبودية و هي الاسلام ، فرضى الله عنهم و رحلوا به .

٤ : النظر في محل السورة (ياض في الأصل)

١٧ - النظر في الطرق

التي تكشف عن طرق الآيات و السور

قد سبق أن بين نظم أجزاء الآية الواحدة و بين نظم آيات السورة الواحدة و نظم بعض السور بعض-مشابهة . فالنظر في طرق النظم التي بين أجزاء الآية يكشف عن طرق نظم الآيات و السور ، و هذه الطرق معلومة في كلام العرب .

١ : فتمها زيادة الجزء بالتام كما قال تعالى : (كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تفكرون) فهذا كلام تام ، لا يتظر له بقية وإنما زاد بعده قوله : (في الدنيا والآخرة) ومثله في أول سورة الروم ، وهكذا تراه في قصيدة الحسان رضى الله عنه .

و يشبه هذا من جهة رباط المعاني ، موقع سورة النجم . فإن في السورة التي قبلها ، ختم الكلام باليسج في آخر الليل و تم المعنى . ثم ذكر اديار النجم الخالص أى هوى التريا في أول الليل .

و هذا الفهم يهdy إلى أمر أعمق من ذلك ، و هو نزول القرآن بعد التوجه التام إلى الملا' الأعلى و النظر فيه ، حتى يصل إلى ما هو فوقه كما عرج ابراهيم عليه السلام من النظر في اديار النجوم إلى معرفة الرب فاجتباؤه الله تعالى و جعله امام الأئمة .

وهكذا بعد الاتحاد بالكواكب في التعبد لرب السماوات و الأرض بلغ محمد صلى الله عليه وسلم مقاماً ، نزل عليه نور الوحي . فإنه اشتغل

بالصلاة و تمسك بها وألح عليها على رغم المانعين ، و عصام في ذات الله
 و هم أعزذ عليه ، فقول عليه القرآن . و كان النزول في ليلة القدر إذا
 (النجم هوى) أى في أول الليل . لأن النزول كان في ليلة القدر حين
 تنجح التريا في أول الليل فبه على الصلاة من أول الليل . و أما في
 آخرها فكان من قبل لادبار النجوم . و هذا بحث طويل ، اشرفنا إلى اسمه
 بيان طريق نظم المعاني .

٢ : و منها ادخال الجملة المعترضة لفوائد كثيرة (١)
 (يياض في الأصل) .

(١) تفصلها في كتاب الأساليب رحمه الله تعالى (الجامع)

من أفادته رحمه الله :

- ١ : لفظة العظم في الكلام عموماً و في كلام الوحي خصوصاً أصول .
- ٢ : الكلام الواحد إما جملة واحدة أو عدة جمل ، فيها موضوع واحد .
- ٣ : الجملة الثامنة تكون متصلة : إما بموضوع الجملة السابقة ، أو بجزء خاص من السابقة ، أو
 بموضوع يتصل بها .
- ٤ : الجملة الثامنة تكون متصلة بالتي قبلها أو بالتي قبل تلك .

• • • • •

من أفادته رحمه الله :

- (١) الكلام سيقاد لترتيب ، فلا يفصل عنه .
- (٢) العظم ويأخذ الأمور المقصد و غاية .
- (٣) لا بد من الوحدة في العظم إلا كان مستتراً .
- (٤) العظم الكامل ما كان فيه وضع الأجزاء على ما كان أكثر فائدة ، و أقرب إلى المفصلة
 المقصودة من الشيء .

١٨ — الاستدلال بالآية

أى بأمر مشهود ، ينتقل منه إلى أمر آخر
بروجه من وجوه المناسبة

استدل ابراهيم عليه السلام على التوحيد بآية سقوط النجوم ، فخرج
بها إلى حكمة عظيمة . و استدل اسحاق المهندس بآية سقوط النفاحة على
تجاذب الأجسام . و استدل غوثم بآية الألام على أن الحياة شر ،
فترك الدنيا و سعى للنجاة منها . و ما من شئ إلا و فيه آية على معرفة
الرب . قال تعالى : (و ان من شئ الا يسبح بحمده و لكن لا تفقهون
تسبيحهم إله كان حليماً غفوراً) . سورة الاسراء آية : ٤٤ ، أى حليم على
غفلتكم فلا يجعل بالعذاب و أمهلكم لكي تتوبوا فيغفر لكم .
هذا الاستدلال يكون على وجوه مختلفة :

١ : فمنها الاستدلال بالضد فان الضدين يدل أحدهما على الآخر
بنسبة التضاد ، و لذلك نسبح ربنا الأعلى في السجدة ، و نستدل بالفقر
على الغنى ، من عرف نفسه فقد عرف ربه . فان تمام تصور الشئ يكون
بحدوده ، و الحد هو الفاصل بين الشئ و ضده ، و الوساطة بينهما فيوصل
إلى ضده .

٢ : و منها الاستدلال بالمشابهة .

٣ : و منها الاستدلال بالخاص على العام .

٤ : و منها بالعكس .

٥ : و منها بالخاص على الخاص بواسطة العام .

..... (بياض في الأصل)

١٩ - المنامبة والترتيب

اعلم أن القرآن يأتي بحملة من المعاني على نظام مختلف . فيأتي بأمر واحد على أطوار ، حتى أن العبارة تتبدل والمعنى واحد . كما أن أمير الجيش يرتب رجاله على تآليف شتى ، ولا يتبين حسن نظامه إلا لمن صهر في فنه . وأما من هو دونه ، فيها يعقبه من الأثر من النصر والغلبة . وظن بعض العلماء كالباقلي رحمه الله تعالى أن الغرض من تبديل الأسلوب الظاهر الإعجاز ، وعندى والله أعلم - أن الإعجاز ليس من أغراض الكلام ، إنما هو من لوازمه . ألا ترى في كل ما خلق الله تعالى من حبة خردل ، بل من ذرة إلى السموات العلى كلها معجزة ، و ليس أمر في خلقها لغرض الإعجاز بل لحكمة الله في خلقه . نعم ، يحجز غيره عن الاتيان بمثليها دليل على كونها من الله تعالى .

فالغرض من اختلاف الأسلوب ليس إلا زيادة فائدة غير ما كان ، لاجل ما ينبغي في الكلام من الحسن والصفانة عن التكرار . فإن الشيء الواحد إذا تراعى لك مراراً بأطوار كثيرة ، لا بد أن تقبمه تماماً . فإن قاتلك منه لحة ستأخذ بك منه أخرى ، كما قال الله تعالى : (أنظر كيف نصرف الآيات عليهم يفقهون) سورة الأنعام آية : ٦٥ .

من أقادانه رحمه الله :

ترى في القرآن تعاريف شتى للدلائل ، كأنه ريك شيئاً واحداً من جواب عطفة . لزيادة العلم وزيادة التنبه . كما قال تعالى : (وكذلك نصرف الآيات . . .) وهذا الاختلاف على وجوه . . . ومنها إنما تذكر ما يكون من جهة العظم ، فإن المعاني تقطن على العظم كثيرة وليس هذا موضع تفصيلها .

★

ثم لكل تأليف دلالة خاصة إلى حكمة خاصة ، فإذا وجدت الواحد على أشكال ، دعاك إلى التدبر في أوضاعها و سألت نفسك للترتيب خلاف ، قائم و المعنى واحد ؟ فهديت إلى دلالة خاصة فلما كان للترتيب دلالة على معنى خاصة ههنا البحث عن أبحاثه و دلالاته . أما أحكام الترتيب : فالأمر الواحد ربما يوتى به كالعמוד و ربما كالتعريف و حيناً يورد مجملاً و حيناً مفصلاً . أو مرة يقيم و أخرى : و تارة يقرئ و تارة يقرئ . فنك أربع تقسيمات ، تحت كل واحد قسمان . فالجملة ثمانية أبواب و لكن القسمة ثمانية لانمانية .

و قيل أن نبحث عنها مفصلاً ، تشير إلى أن أول أمر يطلب العمود . و منه يتبين لك قسمه . ثم ما هو الجملة فان المعنى الذي في المعاني المتصلة يذكر مجملاً . ثم إذا تأملت في ترتيب أجزاء الكلام ، و وجه وضعها مقديماً أو مؤخراً . ثم إذا قايست جملة من المعاني المتحد سور شئ ، فترأت أن أمراً واحداً ذكر في مقام مفرداً و في آخر مقروناً يقرئ له . ثم ربما رأيت أن أمراً واحداً يقرئ بأمر ، تارة و تارة بذلك . فإذا نظرت في الترتيب من هذه المناظر ، رأيت لأمر و وجوهاً حسب و جنعه و هديت إلى تأويله الصحيح . فهذه جملة الكلام فصله و نمثله عن قريب إن شاء الله تعالى بعد ذكر أمر مهم في الترتيب

★ وربما يكون من جهة الزمان ، فيكون أقرب إلى اهتمام العامة .

② وربما يكون على ترتيب الآيات ، فيكون أولى بقول المفسر .

③ وربما يكون من جهة الحركة النفسية و الفكر و ترتيب تباينها ، فيكون أقرب إلى أصحاب السلوب .

④ وربما يكون من جهة المنطق عليه ، فيجوز فيه التقديم والتأخير من وجوه كثيرة ، غير الوجوه

التي تجوز في كل واحد منها ذكرها تفصيلاً ، فلما كان جانب المنطق عليه يلزم أن تكون في العلم

يوضح فيحتاج إلى تأمل صحيح .

٢٠ - ترتيب القرآن المعجز

إنى رأيت فى ترتيب كلام الله، وله الحمد على ما أرائى، إن
الكلام يجر من أمر إلى أمر وكله جدير بأن يكون مقصداً فيشقى الصدور
و يجلو القلوب، ثم يعود إلى البدء، فيصير كالحلقة . فلا تعلم ما العمود
و ما راسه العقد؟ كما قالت الأعرابية حين سئلت عن أبنائها
و ما رام الخطاب. إلا أن يصلوا ما قطعوه كما أنشد أبو عبيدة فى
الخطيب يطول كلامه و يكون ذكوراً لأول خطبته و للذى بنى عليه أمره،
و إن شغب شاغب فقطع عليه كلامه . . . واصل الثانى من كلامه بالأول
حتى لا يكون أحد كلامه أجود من الآخر فابتد:

فإن أحدثوا شغباً يقطع نظمها فانك رصال لما قطع الشغب
ولو كنت نساجا سدوت خطابها يقول كطاعم الشهد بالبرد العذب.

(كتاب البيان و التبيين للجاحظ ص ٨٨)

فبلغ القرآن فى هذا الأسلوب مبلغاً، أعجز بلغاتهم و لا يبتك

مثل خبير .

فاذا نظر فى القرآن ذو بصر، تجلت عليه الخاسن من كل سدقة
فلا يملك نفسه عنها فيزول نظامه .

وأما الجاحدون، فتألم كما قال الله تعالى: (مثلهم كمثل الذى استوقد
ناراً فلما أضادت ما حوله ذهب الله بنورهم و تركهم فى ظلمات لا يبصرون.
صم بهم عى فيهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات و رعد و
برق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت و الله محيط

بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أوجأ لهم مشوا فيه و إذا أظلم عليهم قاموا و لو شاء الله لذهب بسمعهم و أبصارهم إن الله على كل شئ قدير . (سورة البقرة آية : ١٧ - ٢٠)

فالمؤمن متعجب في كمال حسنة و متمتع كما قال :
و فرق ما يقدم هر يكاً كه من نكرم كوشه دامن دل می كشد كه جا اینجاست
سین و الجاحد متخطب بصواعقه و قوارعه و محروم .

فالنظام لا يظهر على هذا و لا على ذلك . و لكن من تأمل
بعد ما انتفع و تدبر بعد ما اتعظ ، فجاء بقلب سليم و
سئول ، فيشرب و لا يسكر ، و يعوص و لا يغرق . . .

بجز من افاداته و رحمة الله :
من مادة قرب و نظرة البلاغة ، أن يجر الكلام من أمر إلى أمر و من إلى أمر آخر ،
ثم يعود إلى الأول أو إلى الوسط حتى يعود إلى الأول أو إلى ما يصل به ، أو إذا كان الخطاب
عاماً بأسباب الكلام ، لم يتكلم عليه نظمه .
بجز من افاداته و رحمة الله :

أعني كتاباً و نظرة ، فهي تخطان لكتاب واحد ، و كما تحرف الأول كذلك نسقم الثانية ،
فلا بد من التقاليد .

الأول : أنزل على أشهر القلوب . و الثاني : أروغ طائفة الصدور .
الأول : مستوع و السامع هو التي ، و الثاني : مؤثر و موافق لما يقبل عليه .
و ربما يحدث به غير التي و لا ينسى لها ، فقلة ما يحدثه و انطراق الخطأ إليه .
فإذا ظهرت النظرة و خرج نورها ، ضاعها نور الوسي فنياً . (فكأن زناها ينسئ و لو
لم يمسسه نار ، نور على نور) .

و إذا ليس كل قلب يبلغ هذه المرتبة و لكن يقرب منها على تفاوت مراتب . فإكان أقرب
كان أقرب مشابهة بالوحي ، فإذا قرب منه ظهر نوره و وافته . كما قال تعالى : (أفمن شرح الله
صدره للإسلام فهو على نور من ربه) فهذا كالسراج المنبثق القدوس . نوره مكتوب فيه و بعد ما
يصبح الوحي . . .

٢١ - ترتيب القرآن، وبخفا، معناه

إن القرآن ذو وجود كجوهرية ذات جويانية، تسمى بالشماع من جهات شتى، أو مع ذلك يهدى إلى سبيل واحد، فيكلمته كشموس، فمن يستطيع أن يجمع أشعته كلها على نقطة، أو قصارالك أن يجمع، منك على عمود الكلام، ويطلع من فوائده الخفية إلى ملة تقصدها، وهكذا ترى الأمر في فطرة الله تعالى، فأنت لا تحيط بجميع فوائده، ما يخلق وخواصه، مثلا أنه إذا أراد إثبات أمر فترى فيه الدلائل الكثيرة من جهات تختلف، وكلها يهدى إلى عمود واحد، فالنظام يشترك ويلف، وبعض من أراد أن يظهره، ويحقق على من حزم قدره أو تعود نظاما غيره، فلا يهدى إليه، لما هو يتحسس أرضيا ولا يرفع بصره فهدى سماويا، فهو يمشي مكبا على وجهه والنجوم تتلألأ على رأسه، مع ذلك يهدى بضلها لسبيله إلا أن يتعاضى من هواه، فيكون هواه رهوا على ظهره و سدا بين يديه ومن خلفه، فيحرف الكلم و يعوج القدم، فلا يبالي القرآن من عزه و أين هلك؟ والذنب عطسه كذلك يصل الله من يشاء و يهدى من يشاء و ما يصل منه إلا القاهقين الناقضين.

ووهكذا وصفه الله تعالى: هدى للمتقين، المؤمنين، المقيمين الصلوة، و الموقنين الزكوة، المصدقين بكل ما أنزل، الموقنين بالآخرة، و مكثا فهمه على رضى الله عنه، حيث يمنع الاحتجاج بجمع الزانين لما قال الله تعالى: (و إذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا و جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه، يوفى آذانهم و قرأ)

«سورة الاسراء آية : ٤٥ - ٤٦ . فاعلم على رضى الله عنه أن فيه اللجاج يقول :
فيقولون و تقول .

و من كونه ذا وجود أنه يأتي بلفظ عام و المراد يتخص بمجمله ،
فتأوله حسب موقعه كقوله تعالى : (فاذا مروا باللغو مروا كراما) فقوله :
« كراما » عام ولكن المراد ههنا خاص . أو كقوله تعالى : (الشهر
الحرام بالشهر الحرام و الحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم و اتقوا الله و أطيعوا أن الله مع المتقين) سورة
البقرة آية : ١٩٤ . فقوله : « اتقوا » عام ولكن الذى أريد ههنا أمر خاص
فمن فهم المحل ، فهم تأويل اللفظ العام و أصاب الوجه ، و من لم يفهم
المحل رأى وجوها كثيرة

من أفاضله رحمه الله تعالى :

إن بيان القرآن و نفعه ، ليس على أسلوب الخط المستقيم دائما ؛ بل ربما هو منكسر
كسبوع المشجرات ، و لا ينبغي بك هذا إلى القول بأن الآيات مدعولة فاستغلت . فإلى نجد
مثال الاستنباط فى القواني . فأنظر سورة حم يسألون ، نجد القاب و الجاد و النبال و الجيم متداررات .
و أشهر لغوى أحسن منظرأ من الخليل و الرجل .
✓ فلو أخذ أقل مثلا و بداهة ؛ إذا جاءت ثم جاءت ثم استغلت . و هذا الأسلوب من القرآن
من كتب الله .

و لكن النقل من أمر إلى أمر يكون مماثلة فالتقسيم هذه الخامسة و شتى على فرائدها ؛
نجد فيها حكما و كليات تحوى و تستل على أنواع تحت جنس واحد ؛ و نجد أمية أمر ؛ كما نجد
الصلوة و الزكاة مما و ذمكر الربا و الصدقة مما . و نجد ذمكر الصلوة صلاة ؛ كما كان
دأب و عيشيس اليوناني ؛ و كما أن الصلوة تنهى بين الأشتال صلاة فخطبها

٢٢ — ما يهتدى بالترتيب

(١) إذا وجدنا ذكر عدة أمور معاً في صور مختلفة ، وناول بعضها بعض ، علمنا أن ذلك بالقصد ونسبة بينها . ثم إن وجدنا سابقها أو لاحقها أو كليهما متجداً علمنا أن ذلك لنسبة بينها ، فنفكر ونستشط المناسبة .

(٢) اللفظ يحتمل معناه الاتزامي كالحكيم مثلاً من يدل بين عباده ولا يخلق شيئاً عبثاً ولا يامر الضعيف بما لا يطيقه ، فإذا قرأت لفظاً وأخذت كلفاً يحتمل ذلك ، يتبين لك الربط وأصل هذا من التدبر الذي ذكره الله تعالى حيث قال : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) .

• سورة محمد آية : ٢٤ •

(٣) ومن الاتزام لوازم المعاني لما يترتب عليها كالشكر للنعمة ، والعبادة للمالك المطلق ، والتوحيد في العبادة ، والشكر والتوكل للمتعم المالك القادر المطلق . فكثيراً ما ترى قبح الشرك بعد ذكر نعم الله وكذلك قبح الشرك بعد سورة الله الكاملة .

من آفادته رحمه الله تعالى :

قضية بين اهلين ربما تكون من جهة التعليل و ربما تقدم الله و ربما تقدم النتيجة .
 قالوا علمت هذه النسبة بين أمرين : كان في ذكر احدهما دليل على الآخر . فان مثلاً في قوله تعالى : (فانما من عند الله و آخر الحجة الدنيا فان المحسم هو الماوي و اما من خلف مقام ربه و نوره المنسوخ عن الماوي . فان الحجة هي الماوي) سورة المازعات آية : ٣٧ - ٤١ ايار الحياة الدنيا حجة الطمان و حجة الرب علمت الماوي عن الماوي ، فان آخر الحجة التلايد انه علمت و استنتج عن الرب فان وجود الاثر دليل على وجوده .

(٤) إذا وجدت جواباً مفصلاً بعد اجمال يسبقه ، فقدّر فيما سبق من الاجمال كليهما يصلح للجواب المفصل . كما ترى في سورة حم السجدة آية : ٢ (قالوا قلوبنا في آفة (ع) تدعوننا إليه) فهذه ، بما ، مجتمعة ولكن في الجواب تفصيل ، فاعتنى عن تفصيل سابق .

(٥) في القرآن آيات متجانسات مشتركات في مضمونها ، ولكن في بعض منها تفصيل أمر و اجمال أمر و في بعضها تفصيل ما أجل في مثلها و اجمال ما فصل في غيرها ، فاستقص المائلات تجد معناها وربطها .

(٦) الصفات مع معناه الاتزامي ربما تشتمل بعضها بعضاً

(ياض في الاصل)

٢٣ — اختلاف الترتيب و حكمته

تنظم الامور على أنخذل : فرمما يقدم أمر و ربما يؤخره ، و ربما يربط الفرع بالأصل ، و ربما يربط الاول بالآخر ، قال تعالى في صفة النبي صلى الله عليه وسلم :

(يتلو عليهم آياته و يزكيهم) فربط الاول بالآخر ثم فصل ذلك فقال : (و يعلمهم الكتاب و الحكمة) . سورة الجمعة آية : ٢ ، وهكذا حيث قال تعالى : (يتلو عليكم آياتنا و يزكيكم و يعلمكم الكتاب و الحكمة) سورة البقرة آية : ١٥١ ، و في موضع آخر قال : (يتلو عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يزكيهم) . سورة البقرة آية : ١٢٩ ، و قد علمنا من انقل و الوحي أن التزكية تمام التربية و كمال السعادة ، ففي اختلاف التأليف فائدة خاصة و في كل تأليف دلالة على حكمة خاصة .

قالوا ان السمع أفضل من البصر، لما جاء تقديمه على البصر. ولكن الترتيب ربما يكون صاعداً، وربما يكون هابطاً. فلا بد من النظر فيه. قال تعالى: (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) سورة السجدة آية: ٨. وقال تعالى: (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل.) سورة الاعراف آية: ١٧٩. وقال تعالى: (فسبهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات.) سورة فاطر آية: ٣٢.

من أقادته رحمه الله:

ترتيب المعاني كما يكون بالقدم والتأخر. فلا بد من المراجعة بوجوه التقدم والتأخر. فذكر هنا بعض أصوله:

(أ): المشح والتم والامر والنهي من باب واحد.

(ب): في تسي المشح والامر ربما يكون الترتيب صاعداً. فان الامر بالاسفل يعرف و يحدد لما هو أصعب. وربما يكون هابطاً. لان الأشنع يحتمر عنه. لانت ضرره أكثر و القراء عنه أقدم و اعم. مثلاً: (غير المنصوب عليهم والعالمين).

و إذا كان صاعداً، فيها انت الدفق بين الجليل لقدم الأنفص ضرراً وربما يقدم ليعلموا انه يسرف ان ما هو أخسر و اتيح.

(ج):

٢٤ - وجوه لأمر واحد

ان الله تعالى علنا في كتابه وجوهاً لأمر واحد . مثلاً ذكر الصلوة
و الزكوة و الذكر و الشكر و أمثالها و الفصص الواحد على جهات .
تستدل بها على حكم حجة و تزداد به علماً لأمر واحد .

و هكذا لما جعل الله تعالى أمراً واحداً آية على أمور عديدة ، ذكر
ذلك الأمر ليتضح لنا جهات التفكير في آية واحدة . مثلاً جعل المطر آية
على معارف ، فذكره لجهات مختلفة . و دل على هذا الأصل حيث قال :
(و لا تقصدوا في الأرض بعد اصلاحها و ادعوه خوفاً و طمعاً ان رحمة
الله قريب من المحسنين) أى من الذين لا يفسدون و يعملون الصالحات
و يدعون ربهم خوفاً و طمعاً) و هو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدي
رحمته حتى إذا انزلت سخاباً نقالاً سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاحرجنا
من كل الثمرات (كذلك نخرج الموتى) لعلمكم تذكرون . (أى هذا هو ربكم
فتشكرون على رحمته و ترجون و تخافون) و البلد الطيب يخرج نباته بأذن
ربه الذى يحب لا يخرج الا تكدياً كذلك انصرف الآيات لقوم يشكرون
(سورة الاعراف آية : ٥٦ - ٥٨) (أى الذين قد اتفقوا بما أراهم الله
من آياته و آمنوا بالرب تعالى) .

فجعل الله المطر جامعاً لحكم حجة : فهو آية على رحمته على العباد .

و فيه انطمع و الخوف كما قال في سورة الرعد .

و جعله آية على البعث بعد الموت كما جاء في القرآن التصريح به و

هنا أيضاً .

ثم جعل المطر آية على اتقاع الشاكرين و الذاكرين بآيات الله .
 ثم دل على أن الله يصرف الآيات على وجوه مختلفة . لتنظر إليها
 من جهات مختلفة . فتكون شاكرأ على هذا نصريف الآيات منه تعالى كما
 كنت شاكرأ على ما ذكر من نعمه الظاهرة

٢٥ — تركيب المطالب بعضها ببعض

النظر في آيات السور ، لا بدع شكاً في أن عمود الكلام ليس إلا
 الامور الكلية التي لا تتعلق بوقت و زمان . وأما الأحكام الخاصة، فجات
 عن عرض و وضعت تحت الكلبيات إلا قليلا . و مع ذلك لم يقتصر عليها
 حتى خولطت بالكلبيات و الحكم كما نرى في سورة النور ، بدأت بالأحكام
 ولكن العظات و الوصايا العالية ضمت بها . فلا بد للمفسر أن ينظر في
 القرآن من جهة الحكم و يربط الأحكام باصولها . و أما الوقائع الخاصة
 فجات مواقع للتزويل لتكون تقريراً إلى الاستماع و التوجه

٢٦ - قران الامور و تقابلها

كليا جاء في القرآن أو الحديث من قران الامور و تقابلها : يهدينا
إلى تدبير الاخلاق و مداواة القلوب . فان الضد يفي الضد و الموافق
يساعد الموافق . فمن ذلك ذكر الصدقة و الربو معاً . و ذكر التثبيت و الصدقة .
و كذلك يهدينا إلى حقائقها ، فان الاشياء تتبين باضدادها .
و كذلك يهدينا إلى بقاء قرين أو فئانه ، يبقاه قرينه أو فئانه . فمن
ذكر الصلوة و الزكوة معاً و تقديم الصلوة مرة و الزكوة أخرى ، علمنا
اللزوم بينهما . فلا يفتأ لاحداهما مع فناء الاخرى .

و كذلك يهدينا إلى نائلتيهما في الآثار . كما استدل أبو بكر رضى الله
عنه على أثر ترك الزكوة باثر ترك الصلوة . لحكم بكفر الذين لم يعطوها .
و قد صرح بذلك القرآن و الحديث حيث أمرهم بتعال الكفار حتى يصلوا
و يؤتوا الزكوة .

و أعلم أن القرآن ربما يصرح بهذه الامور و ربما يكتفي بالإشارة .
مثلا في مغابرة الآثار قال تعالى : (الذين يأكلون الربو لا يقومون إلا
كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) . سورة البقرة آية : ٢٧٥ ،
فاشار إلى كون الربو ضداً للصدقة ، لما ذكر أثره ضداً لأثر الصدقة . فانها
تليت النفس كما صرح به القرآن : (و مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء
مرضاة الله تبتئناً من أنفسهم الآية) . سورة البقرة آية : ٢٦٥ ، وكذلك
أشار إلى كونه ضداً للصدقة ، لما ذكر أن الربو أذان بحرب من الله
ورسوله ، و الصدقة مرضاته . ثم صرح بكونها ضدتين متقابلتين حيث قال :
(يحق الله الربو و يربي الصدقات) . سورة البقرة آية : ٢٧٦ ،

و من توافق القرينين ففهم كونهما مائلا ، مثلا مرة : قرن الصلوة و
المواساة و أخرى : قرن الايمان و المواساة ، ففهمنا كون الصلوة و الايمان
من باب واحد و ذلك في قوله تعالى : (قالوا لم نك من المسلمين و لم نك
نقطع المسكين) • سورة المدثر آية : ٤٢ - ٤٣ • و قوله تعالى : (إنه كان
يؤمن بالله العظيم و لا يحض على طعام المسكين) • سورة الحاقة آية : ٣٢ - ٣٣ •
و قوله تعالى : (أرايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم و لا
يحض على طعام المسكين إلى آخر السورة) . (سورة الماعون : ١)
فعلنا أن الايمان بالله و المعاد و الصلوة و المواساة كلها من باب
واحد . و كذلك قرن الايمان بالعمل الصالح و ربما قرن العمل الصالح
بالتقوى . مثلا (فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون) • سورة
الاعراف آية : ٣٥ . فعلنا أن التقوى و الايمان متفقان

من افادته رحمه الله تعالى :

التفليل ربما يكون من جهة التناقض . كما قال تعالى : (و تواصوا بالصبر و تواصوا بالرحمة)
• سورة البقرة آية : ١٧٧ • فالصبر مع الاقربى و الاسارى . و الرحمة مع الاخصاف .
و كذلك (و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر) • سورة العصر آية : ٣ • فالحق يمتلئ
بالعلم . و الصبر يمتلئ بالعمل . و من جهة أخرى : الحق ما هو عليك . فتوجه لافانته بذلك .
و الصبر في ما هو لك . فتعفه . و من جهة أخرى كما ذكرنا في تفسير سورة العصر .

• • • • •

أن القرين في نظام القرين في المعنى . و قد به الله تعالى كثيرا على هذا الامر . فذكر الامرين
المتشابهين معاً ، مثل ذكر شهادة الزور مع الشرك ؛ و ذكر الزنا مع الشرك . و ذكر الصلوة مع
الصبر . و ذكر الرحمة مع الصبر وغيره .

• • • • •

٢٧ - الحذف

(١) اعلم ان كلام العرب كله نخط أعلى من كلام الامم الذى تعودت به ، لانهم مولعون بزخات القول و تهذيبه من أمور سخيفة ، فهم يجردون كلامهم من كل رابطة و لو فعلوا ذلك كان عاراً على السامع ، فانه يفهم الروابط بذكانه ، فلذلك كثر فيهم الحذف . ألا ترى قولهم : « انا ذاهب . كلمتان و في أكثر اللغات ثلاث كلمات . نخف عليهم بهذا الابهام اعمال المنطق . كان كلامهم قد وضع حسب اقتضاء الفكر و الفهم . فتوى كلامهم مربوطاً برابطة عقلية . و عليك أن تميز بين الروابط من كل قسم ، فانهم لا يصرحون بها ، هذا .

ثم إذا كان الكلام على غاية القوة ، تكب عن كل غير مهم و التى المعانى على النفوس مجردة كما ترى فى أشعارهم البليغة . فتد ذلك ياخذ من الأساليب أخفها ، و يبدل بعضها ببعض . و هذا كثير فى حديث القرآن ، لأن الحجة أخرج إلى السكينة . فأن تصرحها ينفر المنكر فتأخذ العزة و الحجة الجاهلية . مثلاً فى قوله تعالى : (و قال الذين كفروا لانا نبينا الساعة قل بلى و ربى لتسائلكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات و لا فى الأرض و لا أصغر من ذلك و لا أكبر إلا فى كتاب مبين ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة و رزق كريم و الذين سعوا فى آياتنا معجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم) سورة سبا آية : ٣ - ٥ ، فاستدل بعلمه بكل غيب يحتوى صفات أعمالنا على لزوم الجزاء . ولكن ربط هذا الاستدلال بأسلوب الصفة و أخرج الكلام مخرج

القسم لشده ، وبسط القول في فوائد الكتابة و الایجاز و القسم في غير هذا المقام .

(٢) ربما يكون موضع الحذف محتملاً لتقديرات مختلفة فكثيراً ما يغفلون، إما لزيغ في رأسهم أو لفرارهم عن الحذف . فلا يقدرّون شيئاً أصلاً ، كما ترى في قوله تعالى : (قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً يتلو عليكم آيات الله) فهمنا رجحوا من الاحتمالات ما لم يحتاجوا فيه إلى تقدير . قال البيضاوي رحمة الله عليه في تفسير هذه الآية : . يعني بالذكر جبريل لكثرة ذكره أو لنزوله بالذكر و هو القرآن . أو لأنه مذكور في السماوات أو ذا ذكر أي شرف .

أو محمداً عليه الصلوة والسلام لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه . و غير عن ارساله بالانزال ترشيداً أو لأنه مسيب عن انزال الوحي إليه و ابدل عنه رسولاً للبيان .

أو أراد به القرآن و رسولاً منصوب بمقدر مثل ارسل أو ذكر ، أو الرسول مفعوله أو بذله على أنه بمعنى الرسالة . . (انتهى كلامه) و ذلك فحسب أنهم ظنوا أن الحذف ضعف في الكلام ، و لم يعلموا أن الأمر خلاف ذلك . فقد نبى كلام العرب على الایجاز و كثر فيه الحذف فلا معنى للتجاشي عنه . وأما ما جمع من الاقوال في هذا المقام ، ففيه مثال واضح للطريق الذي يسد عن معرفة المراد و يعم الناظر فيه أنه صار متضاعفاً من تاويل الآية مع شدة جهله بها ، فانه بعلمه هذا لم يردد إلا
 عبي و عبي

٢٨ - تقدير المحذوف

في السياق والسباق دلالة على ما حذف، مثلاً قال تعالى: (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلتك ، قال إنما يتقبل الله من المتقين ، لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ، ما أنا بإسقط يدي إليك لاقتلك إني أخاف الله رب العالمين) سورة المائدة آية : ٢٦ - ٢٧ ، لما قال قاييل لاقتلك فهم هاويل من قوله انه يريد قتله لخصبه الناسي عن الحسد على أن تُقبل قربان أخيه ولم يتقبل قربانه ، فاجابه بان الله لا يتقبل الا من المتقين . ثم أتى بالحجة الظاهرة على أنه من المتقين الذين يخافون الله وان أخاه قاييل ليس ممن يخافونه . فدل السياق على علة القتل ودل وضع الآيتين على الاحتجاج و كل ذلك من دلالات النظم .

الحذف في كلامهم يشبه كلامهم بالوثبات ، و القرآن كقطر السحاب من وجوه مختلفة ، و هذه الوثبة من بعض وجوه المطر . قال امرؤ القيس في صفة السحاب و مطره :

لها وثبات كوثب الظباء فواد خطاه و واد مطر

من افاداته رحمه الله تعالى :

من عادة المتقين التائق في توضيح الطالب و ترتيبها ، لكي يفهمها العامة . ثم بعد ذلك تان جماعة الفارسيين و النافذين . فالتشغول بهذا الطريق توردوا في سيرهم بالذهب ، و ضيقوا قوة الوجود .

و أما نظرة الأذكاء ، فترك المقدمات المتوسطة اعتماداً على فهم السامع ، فالذين غلبت عليهم الحقدارة و كثرة الاشتغال بالكتب ، إذا غيروا على كلام ذي وثبات عبروا عن حركة + و إن تفكروا في ما ترك ؛ ذهبوا إلى غير وجه السواب لأسيار . أكثرها أنهم لا يتكروا ، لاستخراج المقدر إلا إذا بدأ لهم حاجة . و هذه الحاجة هي الصاروخ فاهم إذ فاك مقدير رون ملكها .

فالكلام الذي لا حذف فيه لا محل فيه للعقل و النظر و هو كديب
 النقل . و العرب لا تستجده و لا تتأثر به لذكائهم و سرعة فهمهم و تفهيم
 عن الفضول ، وإن كان ضروريا عند غيرهم وهذا مبسوط في بحث الحذف .
 و مثال التاويل بالسياق و السباق ، تاويل النبي صلى الله عليه وسلم
 الدعاء إلى العبادة كما جاء في صحيح البخارى قال : ه الدعاء هو العبادة ، ثم
 قرأ الآية : (ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي) سورة
 غافر آية : ٦٠

٢٩ — وجوه الربط

الوجه الذى يربط المتصل القريب و يقضب البعيد المحيط . لا يؤخذ
 به إذا أمكن الربط الوسع الذى لا اقتضاب فيه .
 وكذلك الوجه الذى له شاهد في العبارة ، يرجع على الوجه الذى
 هو فرض محض .

وكذلك الوجه الذى يوافق المحكم من الكتاب والسنة يرجع .
 مثلا قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة
 وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون . إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض
 جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب
 أليم) سورة المائدة آية : ٣٥ - ٣٦ . قال العلامة الشاه عبد القادر الدهلوى
 رحمه الله تعالى : يعنى المراد من الوسيلة ، طاعة النبي وإن العمل بالصالح
 الذى يحكم به محض العقل لا يقبل . و هذا كلام صحيح في نفسه ولكنه
 ليس ههنا محل في ترجمة الوسيلة . و لا حاجة إلى دفع دخلي زعمه مقدراً

فإن العمل الصالح لا بد أن يكون فيه طاعة النبي ، فإنه إنما جاء للدعوة إليه
و البيان له .

فالتفسير الموافق بالقبول و البعد أن العبد لا بد أن يحقق تقواه
بالاعمال المقربة إلى الله تعالى و هو حفيظة القربان قال تعالى : (لن ينال
الله لحومها و لا دماؤها و لكن يناله التقوى منكم) . سورة الحج آية : ١٧ .
و الآيات السابقة في ذكر القربان و التقوى في قصة هابيل و قابيل . و قبل
ذلك يان بذل النفوس في سبيل الله و نيل الفلاح به ، كما ذكر في قصة
موسى عليه السلام و قومه حين أبرا أن يقتلوا في سبيل الله . و الربط
بين بذل النفس و المال بالجهاد و النحر ظاهر و قد جاء في القرآن كثيراً .
فصلي هذا الياء قال بها : (وجاهدوا في سبيله) أي حققوا تقواكم بالجهد
ففضلوا . ثم لما كان القربان سواء كان قربان النفس أو المال فدية ، و قد
قرب هذا المعنى من قلوب العرب من وجوه مختلفة ، قال قائمهم :

بين النفوس و هون النفوس عند الكريمة أتقى لها
و هذا هو معنى الفلاح و هو البقاء و هو معنى الفدية و القربان و
البركة به . فقال : (لعلكم تفلحون) ثم بين أن الفدية لا يتقبل يوم القيامة
و لو كان يحمي ما في الدنيا ، فلزمكم أن تفتدوا بالاعمال في الدنيا ، فترى
أن هذا التفسير مبني على الربط الواسع و في العبارة شهادات عليه و
شواهد محكمة من القرآن و اللسان تؤيده . و الله أعلم .

و المثال الثاني قوله تعالى في سورة الانعام : (و هذا صراط ربك
مستقيماً ، قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) . آية : ١٢٦ ، قال
العلامة عبد القادر الدهلوي رحمه الله تعالى : المراد من الصراط المستقيم

والإذعان للطاعة وتمذ العقول وهذا تأويل غير صحيح .
 قد كثر في القرآن بيان الصراط المستقيم بالتوحيد . وقد جاء هذا
 الكلام في إخلاص الإسلام لله . ومن هذه الجهة الإذعان لأياته . فقال
 صلى قبل ذلك : (فمن ير الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) ومن
 أن يضله يجعل ضلوه حقيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل
 له الرجس على الذين لا يؤمنون) أى أن الله تعالى ييسر للمؤمنين الطاعة
 فشرح له صدورهم ، فيتضعون بأياته و يذكرونها . و أما الذين لا يؤمنون
 فجمع عليهم رجس الشياطين ، فصرف قلوبهم عن الحق و تضلمت أظفون
 فساداً ، فتضيق صدورهم عن قبول الحق . فليس أن العقل معطل عند
 مؤمنين بل يجرى عقولهم على السداد و قوله تعالى : (قد فصلنا الآيات
 لهم يذكرون) . ويؤيد ما قلنا ويؤيده محكم القرآن .

المثال الثالث : (ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب
 من يشاء و يغفر لمن يشاء و الله على كل شئ قدير) «سورة المائدة آية : ٤»
 العلامة عبد القادر الدهلوي رحمه الله تعالى : ان الله تعالى يعذب عذاباً
 طيباً على أثم صغير إن شاء . فلا اعتراض عليه و هذا تأويل باطل . فان
 أراد من الآية أن الله تعالى يعذب الظالمين و يتوب على التائبين فهو المالك
 في الإطلاق ، فكما يعذب بقدرته ، فكذلك يغفر بقدرته ، و هذا تأويل
 وافق بنظم الكلام ، فان الله تعالى ذكر قبل هذه الآية عذاب السارق
 المغفرة له ، إن تاب بعد ظلمه ، فبني على أنه لا مانع له من المغفرة و
 التوبة على من تاب و أصلح و هذا هو اطلاق المشية . و لا شك في أنه
 اعتراض عليه في ما يفعل ، وليكنه لا يفعل غير الحق و القسط ، و
 لما كان النزاع في هذه المسئلة ؟ فانها لا موضع لها ههنا .

(٣٠)

طريق استنباط علم النظام و أصوله

أجمع أهل التاويل من السلف إلى الخلف على أن القرآن
 يفسر بعضه بعضاً ، و انه أرتق تعويلاً و أحسن تاويلاً .
 فتقول كما أن القرآن يفسر مطالب آياتها بعضها ببعض ،
 فكذلك بذلك على نظام مطالبها و مناسبتها ، بما ياتيك بنظاره ،
 فكثير الشواهد على رباط أمر مع أمر . و بذلك يحثك على
 التأمل في جامع وصلة بينها ، ثم يأتي عليه بأمثلة كثيرة ، بعضها
 أوضح من بعض ، حتى تدرج بك على ما كان أدق و أعمق .
 و هذا يستدعي تفصيلاً و تمثيلاً و سياطيك جملة من هذا
 في مراضعه ، وإنما قدمت هذا الأصل الكلي من أصول التاويل
 و هو أكبر ما نعتمد عليه ، و الله تعالى هو الموفق .

٣١ - فن النظم عموماً

اعلم ان الجملة كما أن لها أجزاء تركيبية من جهة النحو ، كالمبتدأ والخبر
و الفعل و الفاعل ، و أقسام المفاعيل و الحال و التمييز و التوابع و ضميرها ،
فكذلك للكلام - وهو مجموع الجمل - أجزاء تركيبية ، فالأجزاء الاجمالية
منها : ١ - العمود ، ٢ - و التمهيد ، ٣ - و المنهج ، ٤ - و الخاتمة .
و أما الأجزاء التفصيلية ، فنسبها :

١ : التحليل : إما لاثبات أو لدفع شبهة . (الدليل ربما يقفه عليه
لتعليم التفكير ، و ربما يذكر عرضاً لكيلا يتفغروا)
٢ : التفریع بیان القروع : ومنه الانتاج ويدخل فيه الشرائع كثيراً .
٣ : التناصیل بیان الاصول : و به يقفه على سر الشرائع و
الاستدلال البرهاني .

٤ : التفصیل لتجمل : و هذا باب وسيع يفرق في مواضع ،
لتوجيه النظر و قلة المؤنة و تعليم التدبر و الحكمة .

٥ : التمثيل : إما للتوضيح أو للدليل . ومنه القصص و ضرب الامثال
و ذكر الوقائع . و بهذا يتوصل إلى تعليم الحكمة و الاستنباط .

٦ : ايراد المشابهة : | من البيان . و في هذا يضم قرين بقرينه .

٧ : ايراد المقابيل و الضد : | ليدل على مقامهما . كالشرك مع الزنا و
التوحيد مع الاحسان بالوالدين و صلة الرحم .

٨ : التنبه بالوعد و الوعيد و التحسين و التصحيح : و هو خطاب إلى

القلب كما أن الاستدلال خطاب إلى العقل .

أما العمود : فهو جماع مطالب الخطاب . فإليه مجرى الكلام و هو
المحصول و المقصود منه . فليس من أجزائه الترتيبية و لكنه يسرى فيه
كالروح و السر و الكلام شرحه و تفصيله ، و اتجاهه و تعليله . وربما يحسن
أخفاؤه . فلا يطلع عليه إلا بعد استيفاء الكلام و التدبر فيه (١) .
و أما التمهيد : فأكثر ما يحتاج إلى تقديمه في الكلام إذا خوطب به
من لعله يصعب عليه . فيقدم بيان ليهدي لالقاء ما هو المقصود . و هذا هو
الاصل فيه . و لكنه يأتي على أنواع لا تحصى ، و مقادير متفاوتة ، و محاسن
غير محصورة . و ملاك أمره ذكر كل ما له تأثير في قلب السامع و نقله
حتى يصتفي و يستمع . و لا تستحسن إطالته ، حتى يصير أكثر أو قريباً
من المقصود . و لكن المتكلم الماهر ربما يصرف في الكلام ما لم ينفذوه .
و يدخل على السامعين من باب جديد . فربما يعطيل التمهيد فإما يأتي بالمقصود
بأوجز عبارة أو لا يذكره أصلاً . ولكن التمهيد قد كفاهم . وربما يتدرج
منه إلى المقصود فلا تكاد تفصل بينهما . و هذه أنواع الكلام في الابتدآت
لا تكاد تحصى . و ربما يترك التمهيد و ذلك حين يخاطب المطيع المنقاد
القائم أو يلقى الأمر بالصبر و الغضب . فيهجم على المخاطب كالصاعقة .
كما ترى في سورة النور و البراءة و في كل ما خوطب به النبي صلى الله عليه
وسلم . و هذا النبي ذكرنا يتعلق بالتمهيد من جهة الترك . لتعلم مقتضى
الحكمة في الاتيان به و الامتناع عنه .

(١) العمود كالمعنى المطلق ، لا يطلع عليه بالصفة إلا بعد رجوع النظر في النظام و علم روابط
الجملة و اساطة المطالب حله . ثم إن وجدته العمود المفرد من . أقرب بالعلم و أقرب إلى
زيادة التوضيح و حسن التنظيم . فقد أصيب . و إلا فلا بد من طلب عمود آخر . (توجه الله تعالى)

و أما المنهج : فهو مساق الكلام . و هو إما خطاب إلى النبي أو إلى المؤمنين أو إلى المنكرين أو جامع . فإلى النبي إما بما يخصه من التولية و الصبر و الصدق بالحق (ياض في الأصل).

٣٢ - الفرق بين المناسبة و النظام

قد صنف بعض العلماء في تناسب الآي و السور ، و أما الكلام في نظام القرآن ، فلم أطلع عليه . و الفرق بينهما ، أن التناسب إنما هو جزء من النظام . فان التناسب بين الآيات بعضها مع بعض ، لا يكشف عن كون الكلام شيئاً واحداً مستقلاً بنفسه ، و طالب التناسب ربما يقع بمناسبة ما . فربما يفضل عن المناسبة التي ينظم بها الكلام فيصير شيئاً واحداً ، و ربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالهما فان الآية التالية ، ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بعد منها . و لولا ذلك لما عجز الأذكياء عن إدراك التناسب ، فانكروا به . فان عدم الاتصال بين آيات متجاورة يوجد كثيراً . و منها ما ترى فيه اقتضاباً بينا ، و ذلك إذا كانت الآية أو جملة من الآيات ، متصلة بالتي على بعد منها .

من آفادته رحمه الله :

إذا وجدت ما يظهر فيه الاختصاص ربما مر أخذ أمر بضمه و ما سبقه أمر عام كلي . وربما مر على ما مر . و دخل بينهما مثال أو تفصيل أو مترخلة كانت جديراً بالذكر في ذلك المقام . و ربما مر جملة مترخلة ساجتها أظهر إذا استخرجت المقصد الأعلی ما سبقها .
 الاختصاص نظامي : أجمع للمعاني مثلا قوله تعالى : (و لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) فإلية الأخيرة جامعة لجميعها من الزوايل . الأول لها دعاء مترخلة على حسن الية بالمؤمنين . و الثاني أن المعاني تنسك في دعائه هذا . برادة الرب تعالى و دعا نفسه أن يعطيه راحة بالمؤمنين . و الثالث أن راحة الرب تعالى تمتشج رجا . راحة بالمؤمنين . فتنسك بذلك و دعا أن يعطيه الصبح بالمؤمنين .

و بالجملة فرادنا بالنظام أن تكون السورة كاملاً واحداً ، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة ، أو بالتى قبلها أو بعدها على بعدما ، كما قدمنا فى نظم الآيات بعضها مع بعض ، فكما أن الآيات ربما تكون معترضة ، فكذلك ربما تكون السور معترضة . و على هذا الأصل ترى القرآن كله كلاماً واحداً ، ذا مناسبة و ترتيب فى أجزائه من الأول إلى الآخر .

قبيّن بما قدمنا أن النظام شئ زائد على المناسبة و ترتيب الأجزاء ، و الآن نبيّن ما لا يتم النظام إلا به .

موتكراتيه

٣٣ — تصوير المعانى و سبكها فى صورة

اعلم ان سرادنا من النظام ان تكون لكل سورة ، صورة مشخصة . كالبه فان معانى الكلام إذا ارتبط بعضها ببعض و جرت إلى عمود واحد ، و الم كان الكلام ذا وحدانية . فحيث لا يكون إلا وله صورة مشخصة ، فإذا نظرت إلى الكلام من هذه الجهة ، رأيت ما فيه من الجمال و الاتقان و الوضاحة

من أفادته رحمه الله تعالى :

المعتزون بوجوه التناسب ، بما والتناسب علما شريفاً و لكن لم يصلوه برأعياً عن مفهوم القرآن ، ولذلك بقي مذبذباً لا شكالة . واما نحن فنقول ان فهم القرآن بحول اليد . و الزيادة الكثيرة فى التاويل و عدم الاعتماد على تأويل صحيح ، إنما نشأ من عدم المعرفة بالنظام ، فانه هو المتعمد فى صحيح التاويل و وضع الشكوك والعسرة .

٣٤ — الوجدانية^(١)

(١) لا يخفى مما قدما ان الكلام الصحيح النظام لا بد له من عمود يجرى اليه الكلام ، فلا بد لطالب النظام ان يتأمل في مساق الكلام . فانك ترى في السورة الواحدة مطالب شتى ، ولا تعلم ماهر العמוד الذي سبق اليه المعاني ؟ ولئن تهدي الى معرفة اتصال الكلام بعضها ببعض ، دون معرفتك بمساق الكلام ، ووجهة التي تسلك اليها اجزاؤه ، حتى تراها منظومة في سلك واحد .

وبالجملة فالنظام هو الذي يعطى السورة وحدانيتها التي بها صارت سورة كاملة مستقلة بنفسها . ذات عمود تجري اليه اجزاؤها .

(٢) الكلام يتفاوت من جهة الوجدانية . والمناسبة . والترتيب . فيمكن ان يكون ذا وحدانية ولكن خاليا عن التناسب والترتيب . مثلا اذا قلت كتابا في النصائح وقد جمعت فيه اقوالا كثيرة مما يتعلق بالدين والاخلاق والمعايشة والسياسة ، فان وضعت كل ذلك من غير ترتيب ، لم يكن خاليا عن وحدانية ولو ضعيفة . لما ان كانه في النصائح ، فله نوع من الوجدانية والشخصية المميزة . ولكنه عن عدم المناسبة والترتيب .

من افاداته رحمه الله :

في السورة الواحدة نظام واحد . وهو امر جامع خاص .
فان لا يوجد جامعا عاما . كالمناسبة والوعيد والوعيد . فان الكلام ربما يكون غير منظم ويكون كله في الوعد

من افاداته رحمه الله :

التعدي لم يقع باقل من سورة . وذلك لما قيل ان السورة لها نظم خاص . يحمل السورة كلاما ذا وحدانية . وتمام الحسن والطلاقة انما هو ذلك الوجدانية . كما ترى ذلك في كل شيء . وكل
نصفه ببعض حتى صار شيئا واحدا .

فاما اذا قسّمته في ابواب : مثلا باب في الدين ، وباب في الاخلاق
وهلم جزاء ، ووضعت كل قسم من الاقوال في باب ، صار الكتاب
متناسب الاجزاء مع بقائه على ضعف الوجدانية .

فاما اذا نظمت نصائح على قسم في قصة جامعة كما ترى في كتاب
كثيرة ودمتة ، صار كل باب شديد الوجدانية مع بقاء الكتاب على
ضعف الوجدانية .

فاما اذا راعيت حسن الترتيب والمناسبة في تقديم الابواب بعضها
على بعض ، ومع ذلك جعلت الكلام في كل باب بياناً واحداً ، جازياً
الى موضوعه مع تناسب في اجزاء الكلام ، صار الكتاب ذا نظام كامل .
و بالجملة فلا بد لحسن النظام من ان يكون الكلام : حسن الترتيب ،
حسن التناسب ، قوى الوجدانية

٣٥ - استخراج العمود صعب جدا

اعلم ان تعيين عمود السورة ، هو اقليل لمعرفة نظامها ولكنه اصعب
المعارف ، ويحتاج الى شدة التأمل و التمهين و ترداد النظر في مطالب
السورة المتماثلة و المتجاورة ، حتى يلوح العمود كفلق الصبح ، فيضئ به
السورة كلها . وحينئذ نظامها ، و تأخذ كل آية محلها الخاص ، و يتبين
من التاويلات المحتملة ارجحها ، وانما صعب ذلك لوجوه ، نذكر بعضها هنا .
الاول : ان القرآن إنما نزل متشابهاً مثالي ، فترى سوراً متشابهة
المطالب مع اختلاف عمدتها ، و متحدة العمدة مع اختلاف المطالب ،
في لم يبق باحالة النظر في مطالبها مرة بعد مرة - وجمعها تحت عمد مختلفة ،

فإن الشيء الواحد يدخل تحت كلمات مختلفة ، حتى يتبين له من بينها ما هو الأرجح ، كان كذلك سبيل باع مجتمع الطرق ، فضل ، فكلما ذهب ، بعد عن مستقيماً .

و الثاني : أن الله تعالى كما أنزل هذا الكتاب ، لواجبات العقائد و الشرائع ، فكذلك أنزله لتعليم الحكمة . و جعل ذلك من أخص صفات نبينا صلى الله عليه وسلم ، و بذلك جعله خبير المعلمين . و أعطاه من الآيات ما تكون أكثر اتباعاً و أكمل تعليماً .

و لا يخفى أن تعليم الحكمة لا يتأتى بإلقاء المعارف ، و إنما يتأتى باستعمال الفكر و العقل ، و حثه و تنبيهه على النظر حتى يبرز قواه الكامنة كما هو الأصل في كل تربية . فعلى هذا كما جعل القرآن جانباً منه ظاهراً و بائناً ، فكذلك جعل جانباً منه بائناً مكنوناً و لكني يهتدوا إلى بطونه ، جعل الباطن على مدارج ، لكني يترقى المجتهد في درجاته من الاقرب إلى الاعداد ^{للمتدبر} فان التربية لا تتم بدون ذلك .

و الكلام إذا كان منظماً من جهته الظاهرة ، لم يحتاج الناظر فيه إلى تأمل ، و لكن إذا كان اتصاله تارة ظاهراً و تارة خفياً ، توقف الناظر و تأمل فيه . فانه كيف يرضى بالخلل الفاحش في كلام الحكيم العليم ، ولذلك آمن من آمن بالنظام .

ثم جعل الله تعالى ما أخفى من النظام على مراتب ، فجعل أكثره على غاية البطون . و إذ جعل النظام من أكبر ما يبحث به على النظر و التأمل ، أخفى العمود . فلو صرح بالعمد لم يبق كبير مشقة في فهم النظام . فصار غير محتاج إلى النظر و ابطال الحكمة . و إذ خبأه الله ليؤمن به

العقول ، لا بد أن يكون صعب المطلع ، فكانه وضعه مناط الثريا .
 و الثالث : أن الله تعالى مثل المصلحة التي ذكرنا آنفاً ، جعل القرآن
 على نهاية الإيجاز ، ومع ذلك ملأه حكمة . فلكثرة المطالب العالية
 والاطائب الغالية يتحير الناظر فيه ويصعب عليه أن يصفى من بين معانيه
 معنى واحداً كالحمود . كمن يطلب من بين الجواهر واسطة للعقد ، و من
 غاية الحسن كلها يروقه ، فلا يدري أيها أولى ؟

٣٦ — كثرة الوجوه في النظام

ليس أن النظام يعجز أكثر الأفهام عن ادراكها ، فإن من السور
 ما ترى نظامها واضحاً ، بل ربما ترى أن السورة أو الجملة محتلة لوجوه كثيرة
 في نظامها ، و لا بأس بتعدد النظام . فإن ذلك بما يسوغ فيه كثرة التاويل
 إذ لا تضاد في كثرة وجوه المناسبة ، كما لا تضاد في كثرة وجوه الحكمة في
 أمر واحد .

ولكن الأشكال كل الأشكال في تعيين ما هو النظم الصحيح المراد ،
 وذلك ما يرد الكلام إلى وحدانية ، ثم إلى نظم السابق واللاحق حسب
 ما يوجد بين الآيات . ثم بعد ذلك لا بأس بكثرة وجوه المناسبة .
 مثلاً تجد بين الصلوة والنحر مناسبات كثيرة ، فلا بأس بهذه الكثرة ،
 و أما من قال أن النحر هو وضع اليدين على الصدر ، أو توجيهه
 البحر إلى القبلة ، فلم يخالف النظام ولكنه ذهب إلى غير المراد . والمقصود
 منها محض التثليل لا إثبات الصحيح وإبطال السقيم

٣٧ -- المثاني

وهي المعاهد و المقاصل و المعاطف ، سمها أيما شئت

لا يخفى أن كثيراً من القرآن ظاهر النظم ، وإنما يخفى جهة الوصل في مواضع معدودة ، حيث ترى الكلام كأنه أخذ سبباً آخر ، فهناك عقد و اتصال وهي معاطف الكلام ، وهي أكبر ما يهتم من يتمس النظم فلا بد من تعيينها ، و الوقوف عليها ، و التأمل التام فيها .
فعد النظر في النظام لا يهمنك أولاً إلا هذه المعاطف . فإذا اطمانت بوصلها ، اطمانت بنظم السورة .

و لقد علمت أن النظام هو الاقيد لصحيح التأويل ، و الحكم الفاضل بين التأويلات المتباينة ، فلا ينبغي أن ترتضى فيه بالهولينا . فان كلام الرب تعالى لا يكون وامن النظم كما أنه لا يكون خلوا عنه بل كما قال الامام الرازي رحمه الله تعالى : ان أكثر لطائف القرآن في حسن نظمه . . .

٣٨ -- معالم السور من المعاني

(١) لا يخفى على أهل النظر و التمييز أن آيات السورة ليست كلها متساوية في الأهمية ، فإليك ترى بعضها ترتفع من بين أطرافها . و ذلك هو الانسب من جهة الحسن و من جهة التعليم . و هذا التفاوت كما هو ظاهر من جهة النظر فكذلك قد صرح به النبي صلى الله عليه وسلم حيث دل على منزلة بعض الآيات مثلاً
و إذ كان الأمر كذلك ، لابد من النظر الخاص إلى هذه الآيات .

فيعنى بتوضيح محاسنها و مطالبها ، و بالدلالة على أعيانها ، لكيلا يبروا بها
صماً و عمياناً .

و الآن نورد بعض الأمثلة ، أنظر إلى سورة الحديد لا يمكنك
الاغماض عن رفيع منزلة هذه الآيات :

(الف) : • هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شئ عليم . •

(ب) : • يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و
بأيمنهم ، إلى قوله • و ظاهره من قبله العذاب • .

(ج) : • و ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ألا يخ • .

(د) : • اعلوا إنما الحياة الدنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينهم ألا يخ • .

(هـ) : • و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ألا يخ • .

(و) : • و رهبانة ابتدعوها ألا يخ • .

(ز) : • يوتكم كفلين من رحمته ألا يخ • .

(ح) : • لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون ألا يخ • .

و هذا هو مرادنا من معالم السورة .

فأنك ترى في كل سورة ما يكون نادرة و ليس ذلك ما تريد بالعمود ،

و لكن النظر إلى معالم السور من الجهات ، و ربما يعين على استخراج

العمود . و لا جامع لهذه المعالم ، فإنها تجلب الالتفات من جهات مختلفة :

فبعضها من جهة اللغة ، و بعضها من جهة الاعراب ، و بعضها من جهة

البلاغة ، و بعضها من جهة التاريخ ، و بعضها من جهة الفقه ، و بعضها

من جهة الحكمة و علم جرا . غير أنها تستدعي التوجه في أول النظر كأنها

نار على يفاع ، فلا يسوخ الثغافل عنها .

ثم إذا صرف التوجه لاستخراج العمود و النظام ، لزم امعان النظر في دلالة الكلمات و السياق . و حينئذ ترتفع مواضع آخر ، فتكون من معالم السورة من جهة أخرى .

(٢) ما من سورة الاوطا من المعالم ما يختص بها ، سواء فيه الصغار و الكبار ، و لا يخفى ذلك بعد هذا التنيه . وكلها صغرت السورة كبرت هذه الخاصة ، و لذلك صارت على غاية الاهمية ، و أولى بأن يبسط فيها الكلام حتى يتبين موقعها ، و يتضح أن الله تعالى لم يجعل القصار سورة مستقلة الاحكام عظيمة . كما نرى ذلك في سورة العصر و سورة الاخلاص و سورة الكوثر ، وكذلك حتى ترى الصغار هي الكبار من بعض الوجوه .

(٣) و بالجملة فعالم السورة مع كونها مهمة و جلالة للنظر . لا تفرنك في اختيار العمود ، فانما العمود ما يعطيك الوجدانية في السورة و المناسبة بما سبق و بما لحق اما متصلا أو بواسطة . . .

٣٩ — مقادير السور

في جعل بعض السورة على غاية الایجاز و التقصر ، كسورة العصر و سورة الكوثر و سورة الاخلاص و ما يقرب منها ، حكمة مرعية . و هي ان الله تعالى وعد حفظ هذا القرآن و ذلك لحفظ هذا الدين الذي قد أكمله الرب و ختم به الهداية . لا لمحض كونه كتاب الله ، فان الكتب السابقة كلها كتاب الله . كما أن كل من أنزل عليه كانوا أنبياء الله ، و قد بدلوا بعدهم تلك الكتب حتى جاء هذا المهيمين .

فلما كان المقصود ابقاء الدين الكامل ، جعل الاصول الكلية الجامعة

على غاية الإيجاز و الوضاحة ، حتى أن الأمة لو إن لم يكونوا قادرين على حفظ الكتاب بتمامه على انفرادهم ، فلا يصعب عليهم حفظ هذه القصار في صدورهم .

ولذلك نرى هذه القصار مخصوصة بمعنى واحد ، بفعل سورة الإخلاص للتوحيد و جعل يان التوحيد فيه على غاية الإيضاح ، فان التوراة و الإنجيل مع تعليمها التوحيد لم ياتيا بمثل هذه الوضاحة . و كذلك سورة العصر قد تكفلت بأصلي الدين : الإيمان و الأعمال . و كذلك سورة الكوثر قد تكفلت بالشارة . وكذلك سورة الزلزال قد تمت في كمال الدينونة بالنسب مع مراعاة رحمة الرب (١) . ولذلك حث على حفظ هذه القصار ، بما ذكر من كون بعضها ثلث القرآن و بعضها نصف القرآن .

٤ - ترتيب السور

(١) كما أن الآية التي نزلت من بعد ، و ضمت بما تناسبها . فكذلك بعض السور ضمت ببعضها ، لمناسبة المتأخرة بالمتقدمة ، للتفصيل أو التشديد أو الموافقة في المعنى ، و ههنا يجب أن تميز بين السورة المستقلة و التابعة . و ربما تكون التوابع متعددة . و ربما يكون التابعة تابعة أخرى ، ثم بعد التابعة ترى الاتصال بين المستقلين . سواء كان الاتصال بين التابعة و المستقلة التالية لها أو لم يكن .

(١) يعني مجالس المنور . سألني سؤالات في آخرها مسألة التاسع و كان يزعم بأنها معقدة ، فأوضحت له معنى هذه السورة . فانه ان شهد بان الاسلام حق . (منه رحمه الله تعالى)

وربما تكون السورتان المتصلتان مستقلتين من جهة والمتبوعة والتابعة من جهة أخرى .

ثم لابد مع استقلال السورتين المتصلتين من كون المتقدمة أولى بالتقدم ، مثلا سورة البقرة وسورة آل عمران مستقلتان ، ومع ذلك ، الأولى أولى بالتقدم . لكون السابقة سورة الإيمان وجامعة تامة والملاحقة سورة الاسلام ، ولأن الأولى عناية باليهود ، والثانية بالنصارى ولوجه آخر .

(٣) ووضع الطوال مع الطوال والقصار مع القصار ليس هو السبب الوحيد للترتيب ، إنما هو من بعض أسبابه . ولذلك ترى بعض المتأخر أطول بكثير من المتقدم .

و أما أنه من بعض أسبابه ، فلأنك تحب المناسبة في القدر كما تحب المناسبة في المعاني . ولأن القصار لو فرقت بين الطوال لصارت معجورة ، كما أن النجوم معجورة في ضوء النهار . ألا ترى كيف سمى النبي صلى الله عليه وسلم سورتي البقرة وآل عمران الزهراوين . وهكذا ترى المدونين للكتب يضعون الصغار بعد الطوال . وهكذا ترى في التوراة ، فوضعت الصحف الخمس قبل كتب الأنبياء

٤١ — وضع الأوائل نزولا في الأواخر ترتيباً ^{ملاحظ}

أكثر ما نزلت من السور أولاً ، وضعت في آخر القرآن . حتى كان ترتيب وضع السور على عكس ترتيب نزولها . وذلك لأن القرآن للقراءة والدرس ، والقراء عند تمام النزول أقرب حالاً بأوائل القرآن كما سبقه .

فلو قرءه حسب ترتيب النزول ، بعدوا عن ما بين أيديهم و بعدوا
 بأبعد ما كان عنهم . و هذا يشبه بان الرجل إذا رقى في سلم و بلغ رأسه
 ثم أراد العود إلى بدء رقيه ، فلا يبدء بأول الدرجات ، فهذا سير دورى
 ليس فيه انقطاع و يسهل فيه التنقل ، و هذا أهون .
 و الترتيب في كلام العرب هكذا . فإذا كان لقف و قشز ، فهم
 يعودون من الآخر إلى الأول بالتدرج ، و هكذا في غير اللق و النثر
 إذا اجتمع سيران .

وترى ذلك في متلقاتهم ، فالشكل وهو أسهل على هذا الترتيب ،
 وترى ذلك في قوله تعالى : (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، فيبدء
 بما هو أقرب وأمامهم ، وإلى السماء كيف رفعت ، فارتفع النظر . ثم عاد
 من السماء نزولاً فقال : . و إلى الجبال كيف نصبت و إلى الأرض كيف
 سطحت) فقول بالترتيب و التدرج كما ارتفع .
 و أما غير المسلمين ، فيصحب عليهم هذا الترتيب . فلهم أن يقرءوا
 من الآخر إلى الأول ان شاءوا ، كما فعل المسلمون في أول أمرهم .

من افادته رحمه الله :

ترتيب مطالب القرآن نزولاً

أمر الله تعالى نبيه بكتابة القرآن و الصلوة سرّاً و جهراً ؛ لكي يزداد قوة و ثباتاً ، و لكي
 يسلمهم من غير صريح الدعوة .
 ثم أمره بالصلاة و التقدير و الأنداز ؛ و تقيح الشرك و الخلاء ، و ألحيت على التقوى و
 الإنابة ، و فعل الخيرات من الجود و الكرم و الحلم على سبيل الحكمة . حتى اذنت له
 العقول و خطت له القلوب . من استمع و استبصر . و لكن أبى و استكبر كثير ، فاسلمهم
 مدة ، و اشتغل بالذين آمنوا .
 ثم أنزل إليه الشرائع و الأحكام في خلال الوخط و الترفيق و الترتيب .

أحوال المسلمين مطابقة بالقرآن ، فانهم تبدلوا من حال إلى حال ، حسب ما أمرهم الله تعالى و علمهم بكلامه ، حتى كانوا يتعام الوحي . فالقرآن كأنه مرأة لاحواهم فترى فيسيه ثمانيلهم و ما حو لها من الشدة و الزلازل و المجاهدة و المغالية حتى أعلى الله كلمة الحق و أشرق نوره وهذا بحث يقتضى تفصيلا .

السور القصار الذواحلى و أسهل و أجيلى ، فالقارى ينظرها كالمسافر إلى منزل طيب مربع مبيج ، أو كما يوضع على المائدة أحلى الاطعمنة فى الآخر ، أو كما أن البرق يترقى من الأرض إلى السماء ، فكلما قرب إلى آخر القرآن قرب إلى معالى الأمور و أصول الدين .

سورة
سورة

كريمة آياته

من آفادته رحمه الله :

وجه الفرق بين نظم القرآن و نزوله .

- (١) انما نزل القرآن حسب ترتيبهم ، فنزل ما بين عليه الأحكام ، ثم نزل ما فيه الأحكام مع الحفظ بالترتيب و الترتيب و تفصيل الأحكام بما بعد الاحكام .
- (٢) نظم القرآن أحلى بأيدى المؤمنين قائم إلى ما كانوا فيه و روى حالهم ، و نزوله أحلى غير المؤمنين ، فالنظم يجرى من الحاضر إلى الماضى كما قرء تاريخاً من زمانك إلى الأيام الخالية ، ليكون سبباً من العلوم الاقرب ، و نزوله كان يجرى من الحال الحاضر إلى ما يستقبل ، فالأصل فى كليهما واحد أى الاقرب فالاقرب .

من آفادته رحمه الله :

فى أوائل التنزيل نظر إلى ثامة الأخلاق الانسانية ، و فى أواخره إلى ما بين أيديهم من الأوقام . فالأوائل كلية و الأواخر جزئية ، و الأول اقرب إلى العقول و الآخر إلى الحواس . الأول حاد ، عميق و الآخر بسيط ، ظاهري .

٤٢ - موقع الكلام من الوقائع و الأحوال

(١) بما يعين على فهم النظام ، تعيين موقع الكلام ، و في الكلام دلالة ظاهرة و خفية على موقعه باقتضائه . مثلاً هديت إلى نظم قوله تعالى : (ستقرئك فلا تنسى) من النظر في موقعه . و ذلك بعد أن هديت إلى مواقع التسييح .

فقد يومر النبي به ، لما يرى أثر تعليمه ، و قد كان ينظر في أحوال الصحابة ، فإذا رأى كما ينبغي كان عليه الشكر و الحمد . مثلاً في سورة النصر و في قوله تعالى : (وتوكل على الحي الذي يراك حين تقوم و تقلبك في الساجدين) . سورة الشعراء آية : ٢١٨ - ٢١٩ ، فعلى هذا أمر بالتسييح حين رَأَى يصلون و يتقون ، و اتفَعُوا بذكره فهدوا إلى ما قدر ، و كانوا كما حكى عنهم : (كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع) . سورة الفتح آية : ٢٩ .

و قد يومر بالتسييح و الصلوة إذا حزن على مخالفة المكذبين فذلك للثبوت و التسلي و الاستراحة و الرجوع إلى الموافقين . و على هذا جاء في كثير من السور .

و قد اجتمع هاتان الحالتان حين نزول سورة الأهل . فقرأ فيها ذكر طائفتين . و كان عليه السلام قد غلب عليه التبتل و الامتناع إلى تلاوة القرآن و الصلوة و أمهال المكذبين ، فامرهم بجمع الأمرين : تسييح الشكر و الاستعانة و تذكير الناس . و سلاه بأنه هو الهادي و المتكفل بأقربائك و تيسير أمرك ، فإنه يجرى الخلق إلى ما قدر لهم : فمنهم من يذكر و يتقنع بذكرك إياهم ، و منهم من يتجنب ، فكن شاكراً و عاملاً ، و لا تحزن

على مخالفة من يخالفك و أسلك على رسلك . (فذكر ان نعتت الذكرى)
 فلا الحساح و لا ترك ، فانهم يجرؤون حسب أحوالهم : إما إلى الهداية ،
 و إما إلى الحرمان - إما إلى الفلاح ، و إما إلى الشقاوة .
 (٢) إذا وقعت على جملة من الآيات اللاتي تراها غير مبروطة
 و تأملتها مرة بعد مرة ، فربما هديت بنعمة من ربك الى الأمور و الأحوال ،
 كأنك تراها مصورة ، مكشوفة و حينئذ ترى النظام على غاية المطابقة بها ،
 كما هديت إلى نظام أواخر سورة هود و فيه مثال لهدايات عملية من باب
 الحكمة

من افادته رحمه الله :

ما كان قوم اطمع بمراتب الصدور من اصحاب رسول الله و لم يرعوا ترتيب الترتول إلا في ما
 جاء كالبيان و التفسير .
 فاعلم أن القرآن للذكر و جلب الترتول إلى دها فالخاملون في أول الزرع ما كانوا كالخاملين
 بعد ذلك - كان الناس يفتقون صدورهم عن الحق و يبيع ضميرهم الصدق ، فكتبوا :
 بأوضح الحق كالترديد و القيامة .
 و أجمال الكلام .
 و شدة القوة كالقسم و تصوير القيامة و العذاب .
 و إيجاز العبارة لينفذ حملها .
 و جمع الفقرات لتعقّبهم بها .
 و سداجة النظام ليتبين القرص .
 فلما ظهر الحق و انشر و توسعت الصدور للإبصار و لانت له القلوب و اصغرت له القدر ،
 و قد أثرت فيهم حجة نبي و محاربه بهم ، رافهم إلى ربوة العلم و اتق البصيرة .

٤٣ - النظم التاريخي

(١) تنظم الأمور على أنحاء كثيرة ، فلا بد لمن يلتمس النظام أن يحضر هذه الأنحاء .

ومنها تقاربها في الزمان : مثلا زمان الدعوة الأولى ، قامورها منتظمة من جهة الزمان ، فلا يعد بعضها عن بعض . وهكذا قيل الهجرة ، وهكذا على أثر الهجرة ، ثم بعد التمكن في المدينة ، ثم قيل الفتح وبعدها قامور هذه الازمنة معلومة متباعدة ، وعلى هذا الأصل جرى قول السلف في تقسيم السور في مكة و المدينة ، أو جعل بعض آيات مكة ، مدينة أو بالعكس .

بعد ما غلبت ذلك فاعلم أنهم لم يقسموا إلا بين مكة و المدينة ، و لكنك ان جريت على أصولهم وقفت على تمييز أخص بما ذكرنا . فلا يخفى عليك أمور الدعوة الأولى و طرفي الهجرة و طرفي الفتح ، ثم بعد ذلك ما هو أخفى ، و هو نظم الامور التي تقع في المستقبل . وذلك بان القرآن قد تضمن الاشارة إلى ما يقع على الامة ، فهدي الى ما يحتاجون اليه . و قد علم الصحابة رضی الله تعالى عنهم و بينوا لنا مصداق الاشارة في ما وقع بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) فعلى هذا الأصل تهتدى الى بعض الاشارات ، ولا تقتضى الا في الدار الآخرة ، فهناك يتم تاويل الآيات و نذكر بعض الامثلة لتكون أمودجا و دلالة لما قرب و لاح محافلته :

فمنها ما ورد في أواخر سورة هود . و قد نسيه عليه النبي صلى الله عليه وسلم كما ستعلم ان شاء الله تعالى .

و منها ما جاء في سورة الحجرات . وقد روى عن الصحابة جلهم ما فيها على الوقائع التي أشارت إليها السورة .
واعلم أن الاشارات محتومة حتى تظهر الوقائع فيتمتعون لتأويلها الا أهل القلوب الصافية . و لكنهم أصحاب السكتان . فلو بينوه كذبهم الناس الا قليلا وعلى هذا الأصل بقي أواخر سورة هود مكتومة . ولولا الخوض على النظم ، لعلمها لم يكشف القناع عن وجهها . (وقد جعل الله لكل شئ قدرا) و هذا مبسوط في باب الاشارات الالهية
(١) (بياض في الاصل) (١)

(١) لم بين الأستاذ الامام رضى في هذا المقام ما لاح له بالنظم في أواخر سورة هود ، و هكذا لم بين ما ظهر له من الوقائع الآتية في سورة الحجرات . بل ترك البياض في مواضعها ، فراجعت الى محتوياته لعل أحد منها ما يكشف القناع عن وجهها . فوجدت فيها ما يشير إليها فاسيت أن أذكرها هنا تبديها للقائدة . (الجامع) و ما هو ذا :

وقال الأستاذ الامام القرافي رحمه الله تعالى في سورة هود تحت آية ١١٠ : (فاستمع كما أمرت و من تاب بعدك و لا تعلموا إليه بما تعلمون بصير) أى باتيكم ما وعد الله من النصر و العزة و سيحتد يقضوا بينكم الحق و يقلل الترجسه إلى الرب . فيقع العتبان فلا تخافون الرب و لا تصفون بهنكم بعض و كلامها لظنكم بانكم الآن مستنون عن الرب فسال و عن اخوانكم كما قال تعالى : (إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى) ثم تصوروا لاختلاف قلبكم بالفضل و تآخرون أولاد من دون المرئيين و هذا أسود ، فيخذلكم الرب و يطيب رجلكم من أعدائكم كما قال تعالى : (ثم لا تصفون) و كل ذلك وقع . فدل على دوال ذلك ظمير المؤمن بالرجوع إلى الرب و ذلك باتسك ياول سب الرحمة و النصرة و هو بالصلوة و بالصبر عليها و الانتظار بقرها و ذلك باليقين بالنصرة من تائب ، و الهلاك لمن لم يتب و لم يرجع إلى الرب . و هكذا وقع في الأسم الخالية و كذلك في هذه الآفة ، أتم استظفروا في الكتاب نفسه و هذه الآفة استظفرت في السبل به . و قوله تعالى : (لا تركبوا إلى الذين ظفروا) جامع لهم عن الابتعاد على الكفار و عن الإماعة لآفة العدالة الذين يصفون الناس إلى غير الطريق الذي جعل الله النجاة فيه . ثم قال : (فلا تكن من القرون الآتية) أى هكذا يكون في هذه الآفة قليل من الصالحين و لا يأتى العذاب إلا إذا مكنت القلب و لم يصلحوا

٤٤ — الكلام في نظم السور بعضها مع بعض

و بيان النظم العمومي
(فصل في غاية الأهمية)

إعلم أرسدك الله تعالى أن أصل القرآن ما نزل بمكة ، و أما ما نزل بالمدينة ، فادرج فيه وضم معه فصار كالجنان المفصل . قال تعالى :
(كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) فهذه اشارة الى أصل راسخ في ترتيب الآيات و السور .

فقرى كل جملة من السور ، تبثى بالمكية و تختتم بالمدينة . أو ترى جملة من المكيات قد ادخل فيها سورة واحدة أو أكثر من المدينة . وهذا مثل ما ترى في ترتيب الآيات . فربما جعلت آية أو أكثر في آخر السورة ، أو أدرجت كالجملة المعترضة في غضون الآيات . فهكذا ترى في وضع المدينيات : إما في عقب السورة المكية أو في درجها .

★ و قال الأستاذ الامام رحمه الله في سورة الحجرات تحت آية ١ - ١٤ ما نصه :
ذكر أمور تحب على الأمة في جنب الرسول و حول هذا الوحي إلى زمان استماعه ، ثم ذلك شدة ما وقع في عهد عثمان رضي الله عنه ، فقد شفيوا حوله و تداوه من وراء الحجرات ولم يصبوا ولم يشيروا ما جلد إليهم من يأ . فهذه الآيات تهديد لما يصدها و قد ذكر ما وقع بين الأمة ، ثم قال الأستاذ الامام تحت آية ١١ - ١٣ ما نصه :
و بعد سد أبواب النبي و الفساد . ذكر أسبابه و سد أبوابها - فنع عن السحر و الزور و فذة الانقلاب و سرور الفتن و الجسس و البينة و المنكر . و جمع النبي مكلفاً في خطبته في حجة الوداع :
« ألا فان دملكم برأسه الكرم و اعراضكم سرام عليكم ، تكلمة بومك هذا في شريك عفا في بلدكم هذا اسموا حتى تموتوا ،
فقط عن مقدمات الخصاص و اختلاف القلوب ، فلا يصلح أمر أمة فيما هذه الحقائق الفنية .
و لذلك لا تتفق كلمة المسلمين في أيامنا . فمن و إن كان حياً حدم . فهو عند الراسخين خطيب عظيم واهم . »

و اعلم أن المدرجة ربما تكون هي أيضاً مكية ، مثل الآيات المدرجة
 أو المرددة . و بالجملة فالحكم يكون عدة من السور جملة واحدة ، مبنى على
 الاستدلال بالمطالب . و أما التقسيم في الجملات على حسب الاحزاب ،
 فإما كان من جهة المقدار و شئ من المطالب ، وقد اختلفوا فيه . و ليس
 ما نذكر من التقسيم مبنياً على المطالب ، بل المقصود في هذا الفصل هو
 التنبه على موقع المدنيات من المكيات .

١ : سورة الفاتحة وهي مكية ، مع أربع مدنات جملة واحدة . مع
 أن الفاتحة لها نسبة بمجموع القرآن . (١ - ٥)

٢ : سورة الانعام و الاعراف مكيتان ، مع الانصال و البراة
 المدنيتين . (٦ - ٩)

٣ : سورة يونس الى سورة الانبياء اثنا عشرة سورة كلها مكية
 مع سورة الحج . و هي عندى مدينة لما تتضمن الجهاد و القتال و
 الهجرة . (١٠ - ٢٢)

٤ : سورة المؤمنون المكية مع سورة النور المدنية ، و لعلها
 مدرجة . (٢٣ - ٢٤)

٥ : سورة الفرقان إلى سورة الم السجدة ، ثمانى مكيات مع مدينة
 واحدة . و هي سورة الاحزاب . (٢٥ - ٢٣)

٦ : سورة سبا إلى سورة الاحقاف ، ثلاث عشرة مكية ، مع سورة
 محمد الى سورة الحجرات ، ثلاث مدنات . (٢٤ - ٤٩)

٧ : سورة ق إلى سورة الواقعة ، سبع مكيات مع سورة الحديد
 إلى سورة الطلاق عشر سور مدنات . (٥٠ - ٦٦)

٨ : سورة الملك الى سورة الاخلاص جملة واحدة ، قد ادرج فيها سورة المطففين و هي مكية ، و سورة النصر المدنية ، و سورة الهمم المكية التي نزلت قبيل الهجرة . (٦٧ - ١١٢)

٩ : سورتا المعوذتين المدنيتان ، جملة غائمة ذات اتصال بتسام القرآن و بما قبلها ، مثل سورة الفاتحة ذات نسبة بما بعدها و بجميع القرآن . (١١٣ - ١١٤)

٤٥ - عمود السور اجمالاً

(ك : علامة مكية و د : علامة مدنية)

(١) سورة الفاتحة : جامعة كالديباجة ، ففيها مفاتيح لجميع ما في القرآن . (ك)

(٢) سورة البقرة : سورة الايمان المطلوب ، و هو الايمان ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، فجمعت دلائلها . (د)

(٣) سورة آل عمران : سورة الاسلام ، و هو طاعة النبي صلى الله عليه وسلم فهي أشبه بالسابقة لما أن الإسلام إنما هو الجانب الظاهر من الايمان . (د)

(٤) سورة النساء : كالرء لسورة الاسلام ، بما أنها تبين أن الشريعة وحة على الناس كافة و كذلك صاحبها . (د)

من افادته ورحمة الله :

ليس ترتيب السور حسب مقامها ؛ بل الفاتحة قريب من سورة البقرة - و سورة ابراهيم أقل من نصف سورة العنكبوت . وسورة الفرقان تك سورة الشعراء . وسورة الإسجد أقل من نصف سورة الاحزاب . وهكذا في ما بعد أيضاً ترى سوراً صغراً وهاهنا قبل أكبر منها .

- (٥) سورة العقود (المائدة) : مثل السابقة يذكر بناء الاسلام على العهد الالهى و يذكر أواسط هذا العهد و نهايته . (د)
- (٦) سورة الانعام : موقع الأحكام من عهد التوحيد ، ليد أبواب الشرك . كما قال تعالى : (و ما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) ، سورة التوبة آية : ١١٥ ، (ك)
- (٧) سورة المص (الاعراف) : تنذر أهل القرى و توعدهم بالهزم و غلبة الحق . (ك)
- (٨) سورة الانفال : فى فرائض الجهاد و وعد سطوع الحق و التطهير . (د)
- (٩) سورة التوبة : غلبة الحق و الجهد فى التطهير . (د)
(جملة ثانية)
- من سورة ١٠ — إلى سورة ٢٤ — انذار و تبشير ،
و اجراء الكلام من وسط النبوة إلى وسط الهجرة
بالترتيب الزمانى .
- (١٠) سورة يونس : تبشير و انذار أخرى خلاف اليهود الذين
تبطروا عن الكمال ، فاختلدوا إلى الارض . (ك)
- (١١) سورة هود : تخويف أهل مكة حيث قال : (ذلك من انباء القرى
نقصه عليك منها قائم و حصيد) آية : ١٠٠ ، والامر بالصبر ، و القطع من
الكفار ، ترشياً للهجرة و النصر ، و فيها اثبات أن الشرك و الكفر
بالمعاد يجر إلى فساد الاخلاق بالكلية و الهلاك ، فيهلكون ، و المؤمنون
ينصرون . (ك)

(١٢) سورة يوسف : اشارة إلى قرب الهجرة و تمثيل للفرج بعد
البأس و غلبة الحق . (ك)

(١٣) سورة الرعد : للعذاب وقت و يوخز لىكى يتوبوا . و يقدم
عذاب الدنيا للتبويه . (ك)

(١٤) سورة ابراهيم : فى عموم سة الفتح للمؤمنين و انتقام الكافرين
بعد الهجرة . (ك)

(١٥) سورة الحجر : فى أن لعذاب المتكرين وقتاً معلوماً فاصبر . (ك)

(١٦) سورة النحل : و قيل مدينة و عتدى أنها قبيل الهجرة . فيها
جواب منكرى القرآن ، و أحكام تنسخ بعض ما فى التوراة حيث قال :
(و إذا بدلنا آية مكان آية و الله أعلم بما ينزل قالوا إنما انت مفتر بل
أكثرهم لا يعلمون) . آية : ١٠١ . و ظن المشركين حيث قال : (و قال
الذين أتركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن و لا آباؤنا و لا
حرمنا من دونه من شئ كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا
البلاغ المبين) . آية : ٣٥ . (ك)

(١٧) سورة بنى اسرائيل (الاسراء) : فى البشارة و الانذار حيث قال :
(ان هذا القرآن هدى للتى هي أقوم و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
أن لهم أجراً كبيراً و إن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذاباً أليماً)
آية : ٩ - ١٠ . و الأمر بالعمل الصالح الذى به القلاح . و وجه الكلام
إلى اليهود . (ك)

(١٨) سورة الكهف : فى الانذار و البشارة و الصبر للوقت الموعود
حيث قال : (و تلك القرى أهلكتنا لما ظلموا و جعلنا لهم لمكهم موعداً)

آية : ٥٩ ، ووجه الكلام إلى النصارى . (ك)

(١٩) سورة مريم : في البشارة والإنذار حيث قال : (فإنما يسرناه بلسانك لتبشربه المتقين وتذره قوماً إدا) ، آية : ٩٧ ، والانتظار . (ك)
 (٢٠) سورة طه : قبيل الهجرة . وأمر فيها بانتظار الفتح حيث قال في آخرها : (قل كل متربص فتربصوا فستعلبون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى ، (ك)
 (٢١) سورة الانبياء : في اقتراب عذاب كفار مكة ، وهي قبيل الهجرة . (ك)

(٢٢) سورة الحج : في الجهاد و هلاك القرى ، بيد الهجرة متصلة بما قبلها . (د)
 (٢٣) سورة المؤمنون : متصلة بما قبلها في فلاح المؤمنين الصالحين و هلاك المكذبين . (ك)
 (٢٤) سورة النور : للطاعة في أحكام المعاشرة والتدن . و تمة للسورة السابقة . (د)

(٢٥ — ٣٢) ثمان سور كلها مكية : في وعد الموحدين المؤمنين بالفوز ونصر الله . (ك)

(٣٣) سورة الاحزاب : في ميثاق النبوة و الطاعة ، وقد علت في بحث كيفية النزول أن تعلم الاحكام حولت على الوقائع . (د)

(٣٤ — ٤٦) هي ثلث عشرة سورة كلها مكيات : في التوحيد و القيامة و ضرورة النبوة و وعد النصر . اثنتان : الحمد لله . و الثلاث : قسم

بالقرآن و الملائكة و القرآن . ثم البواقي تبته. بذكر القرآن . و السبع
الآخرة حواميم . (ك)

(٤٧ — ٤٩) تلك سور مدنيات ، في الحرب و الفتح و كبح جماح
الفاشين . وهذه السور الثلاث مراتب ، وأولها انجاز ما في آخر سورة
٤٦٠ من النصر و هلاك الفاسقين و خذلانهم . (د)

(٥٠ — ٥٦) سبع سور كلها مكية ، في الانذار بالقيامة و التذكير
بالقرآن . (فربما صرح بواحد منها أكثر من الآخر و ربما خلطهما
بعبث ترى انها أمر واحد) و بعد اكمال التذكير براءة و اذعان لمشيئة الله
و هو التسيح . (ك)

(٥٧ — ٦٦) عشر سور ، في اليهود و أوليآئهم و تحذير المؤمنين
عن عاداتهم ، و وعد الفتح والغلبة . فن سور البراءة و التطهير . و آخرهن
خاتمة سور الأحكام . (د)

(٦٧ — ٧٦) عشر سور ، في الملك الالهي و استقامتها ارسال الرسل
و النذر ، و فيها أمر النبي بالصبر لحكم الله و التوكل عليه . (التفرد بالملك
يوجب ارسال الرسل) . (ك)

(٧٧ — ٨٦) عشر سور ، في تخويف المكذبين الفجار ، ذوى
الاموال ، و التفات الكلام إليهم ، و ان الله يكفبهم فامر النبي
بما لهم مليا . (ك)

(٨٧ — ٩٦) عشر سور ، فيها التفات ظاهر إلى النبي ، و أمر له
أن يشغل بالله ، و يذكر الناس على سبيل الابلاغ المخص ، لقرب يوم
الفصل . فتمت الكلام بقوله : (سندع الزبانية . كلا ! لا تطعه و اسجد و

اقرب) . (ك)

(٩٧ - ١٠٤) ثمانى سور ، فى رفيع منزلة هذه النبوة ، لمدارها على الرحمة و هى ملكوت الله . و ابطال اهل الشح و الدنيا ، تمهيداً لما يتلوها تفصيلاً . (ك)

(١٠٥ - ١١١) سبع سور ، فى تدعيم الاعداء و النصرة و الفتح على اهل الشوكة . (كند)

(١١٢) سورة واحدة كالحاتمة للقرآن ، فى التوحيد المحض . و هو القطب و المرجع للدين الالهى الفطرى الازلى الابدى . و متصلة بما قبلها من جهة انها الهجرة المعنوية القاطعة حبال الشرك و المشركين و اليهود ، و هى أشد السور على النصارى . و هى مشابهة بالفاتحة . فى أولها توحيد و آخرها ابطال بدعة اليهود و النصارى (١) (ك)

(١١٣ - ١١٤) سورتان فى الاستعاذة بالله ، كما أمرنا الله بالاستعاذة عند قراءة القرآن حيث قال : (و إذا قرأت القرآن فاستمع بالله من الشيطان الرجيم) و هما متصلتان ، بالصمد . فانه الملاذ و المرجع . (٥)

(١) الفاتحة و الحاتمة متصلتان . مثلا : (اياك نعبد و اياك نستعين) يقب (الله الصمد) و (لم يك) فى اليهود . مثل (المنصوب عليهم) و (ولم يولد) فى النصارى . مثل (الصالحين) فهذا من البرد على البدع . (من رحمة الله)

٤٦ — تلخيص مطالب السور و نظامها

(١) سورة الفاتحة : صلوة . موفية . (سبعاً من المثاق)
 (٢) سورة البقرة الم : القرآن و التوحيد و البعثة و الاسلام و قبلته
 و الصلوة و الجهاد و الحج . احلال الطيبات و تحريم القرايين الباطلة و
 الميتة و الدم و الخنزير . القصاص . الوصية . الصوم . زعابة أيام الحج
 و الجهاد و الحج و السلم و الصدقة و الجهاد . تحريم الخمر و المسير .
 اليتامى و تحريم النكاح المشركات و الطهارة و التوبة . الايلاء و الطلاق
 و الرضاع . الصلوة . الجهاد . الاتفاق . الربا . الدين . الرهن . الشهادة .
دعاء التسهيل و العفو و النصرة .

(٣) سورة آل عمران الم : القرآن . وعد النصرة و الملك و العزة
 تمثيل نصرة موسى و عيسى . دعوة أهل الكتاب و الزام نصرة النبي عليهم .
 اثبات البعثة . اولاف المؤمنين و جعلهم أمة مقسطة متحدة منقطعة من
 الكفار . مثال النصرة للمؤمنين في حنين و بدر بالملائكة . تحذير عن الربا
 و حث على الصدقة و وعد الغلبة و التسكين و التثبيت و وعد النصرة .
 و منهم من الفشل و التنازع و العصيان . عفو و تسكين . بشارة . تثبيت .
 سيرة المؤمنين من الفكر و التقى و السبقة إلى الخير و الاستغفار و دعاء
 النصرة في الدنيا و المغفرة في الآخرة . الاستجابة بنصرة المظلومين و مغفرتهم .
 أمر بالصبر و الاتحاد و التقوى .

(من مقابلة مضامين و خواتم هاتين السورتين يعلم أن تقديم الأولى

على الأخرى يوافق القياس)

(٤) سورة النساء : صلة الرحم . القسط باليتامى . تعدد النكاح
 للقسط باليتامى . الرد إلى وحدة النكاح للقسط بالنساء . حق النساء على
 أموالها . رعية السفهاء . رد أموال اليتامى وقت رشدهم . تسوية الرجال
 والنساء في أموالهم . المعروف بذوى القربى و اليتامى و المساكين عند قسمة
 الميراث . تعيين الميراث لحفظ اليتامى كيف تفعل بالمسكين منا . حق النساء
 بأموال آتاهن الزوج . محرمات النكاح . حرمة مال المؤمن كحرمة دمه .
 حق المولى . قيام الرجال بأمر النساء و طريق المصالحة بينهما . التوحيد
 الاحسان بالوالدين و بذوى القربى و الجار و ابن السيل و الغلام و لبن
 الجانب و الجود . وعد المضرة و عظم الاجر و شفاعة النبي كافة . ظاهرة
 الصلوة ظاهرها و باطنها . سلب الله النعمة عن أهل الكتاب لحياتهم و
 عصيانهم و شركهم ، حسدهم علينا .

بامرنا بالامانة و العدل و الاطاعة للعقلاء و النبي . المطيعون مع النبيين
 و الصديقين و الشهداء و الصالحين و هم رفقاؤهم . فهذا حزب الله و من
 خانوا صاروا من حزب الشيطان . اقامة حزب الله لاعلاء كلمته و حماية
 الضعفاء . اختلاف المنافقين . كف المسلمين عن الغلو في ترك المنافقين .
 تحذيرهم عن الخلاط بهم ثم كفهم عن الغلو . الحث على الهجرة . التشديد
 و التخفيف في الصلوة في الحرب . حث على القتال . كف النبي عن رعاية
 المنافقين و تحذيره عن مكرمهم و شركهم . لا رعاية لأهل الكذب و لالقوم
 النبي بل العدل و ملة ابراهيم الذي هو أصل لها . جواب سوال في أمر
 النساء . التاكيد على الاعتصام بالقسط و الايمان الكامل . الاستقامة و الحذر
 عن المنافقين . منافقون من أهل الكذب و العاصون . النبوة و نفي الشرك .

جواب سؤال النساء كالضميعة . (تقاض الحكومة في أمور البيت) .
 (٥) سورة العقود : القيام ببهود الله في المحرمات من المسأكل و
 المتكح وأصله التقوى و العبادة . التزكية باسم الله و نيته العبادة في أمر
 الطعام . و باسم الله و نية الصلاح في النكاح و بالظهارة و نية التعبد في
 الصلوة . القيام بالعهد مع فساد اخلاق الناس و التوكل على الله . تبعات
 نقض عهد الله من اللسنة و قساوة القلب و حرمان فهم كتاب الله و العداوة
 فيما بين الأمة و سوء الاعتقادات و مكث التعمية . مثال انبي آدم للثبات
 على القسط يكف اليد من الظالم المقسد الا التعزير و هو في جرم سياسي ،
 و من الحاكم ، ٢ و بعد وقوع الجرم ، ٣ و بمثل الجرم ، ٤ . حال الناكثين الذين
 لم يقوموا بالعهد . نهي عن المخالطة ٣٣ . الله ولي الشهداء و وعد الغلبة
 ٣٣ . سوء أعمال الناكثين و جزاؤها . القتلع الين من أهل الكذب
 الاصلحاء النصاري . تخفيف من الله تعالى في العهود ان زلت قدم ولم تمت
 المؤمنين و الاعراض عمر . مخالف و ضل . عظم أمر العهود و لزوم
 شهادتها في أمور دنيوية ثم شهادة الانبياء في يوم القيامة فهذا هو سؤال
 العهد و العقود الالهية و بذلك ظهر عظم ذمة الشهادة .

(تقاض الحكومة في أمور أعم بما قبل)

(٦) سورة الانعام : ذكر المشركين و المكذبين بالقيامة و المكذبين
 بالنبوة . (١٠) انكارهم و عذاب الله في الدنيا و القيامة . نهي الله عن
 الشرك و أمر بالتوحيد و هو أول النبوة . شهادة الله على التوحيد و القرآن
 و شهادة الكتب عليهما . (٢٠) الفرق الثلث و سوء منقلبهم : وهم المشركون
 و المكذبون بآيات الله و المكذبون بالقيامة (٣٠) خطاب بالمؤمنين و النبي

بأن يصبروا و يرجوا النصر و يياسوا عن المكذبين ببقاء الله و يحثقروهم فلا يعجلوا بالعذاب و الغلبة عليهم (٣١ - ٥٠) خطاب بالنبي بان أفرغ عن الكفار و أشغل نفسك بالمؤمنين و اصبر معهم و قهرهم . (٥١ - ٥٥) في التوحيد و النبوة و القيامة . (٥٦ - ٦٢) في التوحيد . (٦٣ - ٦٥) في النبوة . (٦٦ - ٧٠) في اجمال القول في التوحيد و الاسلام و الايمان بالحشر . (٧٤) ثم بيان هذه الأمور في قصة ابراهيم فثبت التوحيد ثم الاسلام و القرآن و المعاد و ابطال الشركاء . (٩٥) أمم الدياجسة بالتوحيد و البعث مشتملة على اثبات القرآن بأنه هو يفصل . (١٠٠) شرع في الاشارة إلى ما اقتروا من أحكام الشرك فابطل شركاء الله و أوليائهم الذين شرعوا دين الكفر . (١١٨) و يخ المومنين على اتباعهم و صرح ما أراد في أمر الانعام و كفهم عن تولى أولياء الشيطان و بشرم بأن الله وليهم . (١٢٨) سوء منقلب أوليائهم و تصوير القيامة و سبب مكشها و وعيد . (١٣٦) عدد سوء أفعالهم في أمر الانعام و غيرها بما كان بمثله فقبح ما اقتروا من الشريعة الباطلة شركا و كفراً و سفاحة . (١٤١) بيان جر هذه الأحكام إلى الكفر و ابطال ما اقتروا أنها من الشريعة المنزلة على اسماعيل عليه السلام . (١٤٥) بيان شريعة اسماعيل عليه السلام و ابراهيم عليه السلام ورد اعتراض اليهود في أمر الانعام و اعتراض المشركين و تمسكهم . (١٥١) بيان شريعة ابراهيم عليه السلام و وصيته . (١٥٤) بيان شريعة موسى عليه السلام . (١٥٥) هذا القرآن و حكمة نزوله و وعيد منكره و القطع عنهم . (١٦٠) غلبة الرحمة و ان لا ظلم . (٦١) الختم على التصريح بأن هذا الدين هو الصراط المستقيم و ان هذه الأمة خليفة الله حسب مقاديره الحكيمة من غير ميل

إلى أحد و مدار كلها على الابتلاء . ثم الجزء - (١٦٦) .
(في أن الميثاق بالله و جعلنا خلاص)

(٧) سورة الاعراف : (بتفصيل ما)

أنزل الله كتابا إلى النبي لينذر و يذكر به و إلى الامة ليتبعوه و لا يتبعوا شريعة أولياء الشيطان . (٢) و الا يفعلوا . بحسب العذاب . فالتبي و الامة كلاهما مسئولان . (٦) و الله يعلم فيقص عليهم يوم القيامة و وزن أفعالهم لكي يجازيهم من غير ظلم . (٩) و حق له تعالى أن يسألنا و يجازينا فانه تعالى مكتنا في أرضه و جعل لنا معاش كما يفعل الملك برعيته و خدمه فالاطاعة واجبة شكرأله . (١٠) بل أكثر من ذلك فانه تعالى خلقنا و صورنا ثم جعلنا خليفة فكرمنا بسجدة الملائكة و لعن الذي أبي حسداً و كلي من يتبعه . (١٨) و اسكننا الجنة فخرعنا ذلك الحاسد حتى نزع عنا حلة الكرامة و لكن ذكرنا الله عداوته و تاب علينا و اهبطنا في الارض للابتلاء و أنزل علينا لباساً و زينة بعد ما أفضحنا أنفسنا باتباع الشيطان و عذا اللباس صورة حلة التقوى و أصل الكرامة لكي يذرها و ما جرى علينا من نبت التقوى . (٢٦) فأي كفر و حماقة يكون أكبر من أن نعصى ربنا المحسن و نفتن بين أفضحنا و نراه بنظر الولاة و النصح و هو و حزيه ينظروننا بنظر الخداعة و العداوة فهم أولياء الكافرين (٢٧) فهم يجادلون منه و آمنوا بما قسمهم الشيطان به فالتخذوا الفحشا ديناً و تقولوا على الله بجهلهم . (٢٨) بين الدين الحق الالهي فامر بجمع و نهي عن خمس أمر بالعدل و الصلوة و الدعة الخالص من الشرك و اتخاذ الزينة عند المساجد و الاكل و الشرب من الطيبات من غير سرف و نهي عن الفواحش ظاهرها قننها التعري و

باطنها، وعن الاثم، والبغى بغير الحق، وعن الشرك، وعن التقول على الله جهلاً. (٣٣) لزوم الرجوع إلى الله وجزاء من اتبع ما أتى به النبيون (٣٥) ومن كذب استكباراً (٣٦) و من تعهم فافتروا على الله (٣٩) خلود عذاب المكذبين المستكبرين (٤١) ونعيم المومنين الصالحين و اظهار شكرهم على الايمان بالنبي (٤٣) يؤذون باللعة على المضلون المنكرين بالآخرة (٤٥) يضرب بسور بين أصحاب الجنة وأصحاب النار و على شرفات السور شهداء الله يسلمون على الأمة الصالحة و يشاققون إليهم ثم يصرفون أبصارهم إلى أصحاب النار فقالوا أعادنا الله وودعهم وداع المقت، ثم ادخلوا الجنة (٤٩) حسرة الكافرين و سواهم و جواب الشهداء بان الله حرم نعيم الجنة على الذين استخفوا بالدين و دنسوا يوم الجزاء و جحدوا بآيات الله و كتابه المفصل بالعلم لجلبهم (٥٢) فهم ليسوا بمؤمنين قبل الشهادة بما أخبر عنه كتابه عن أمور الآخرة فإذا شهدوا يؤمنون به و يرجون الشفاعة و يطعمون الردة و أتى لهم الشفعاء الذين افتروهم اشراكاً بالله (٥٣) إنما ربكم الله الذي خلق كل شئ و أمره فهو رب العالمين (٥٤) فان خضعتم له و لم تفسدوا في الأرض و سألتموه بحجكم (٥٦) هو الذي يرسل الرياح بين يدي رحمته فيجئ بها البلاد ميات غرجاً منها ثمراتها فكذلك تحبون (٥٧) و بعض الأرض لانبت فكذلك بعض القلوب لا يتنفع بمطره الروحاني الذي ارسل الرسل بشري بين يديه (٥٨) فقد ارسل نوحاً الى قومه بالتوحيد و الانذار نياً ناصحاً ليتقوا و يرحموا فكذبوه، فنجى الله المؤمنين و أغرق المكذبين لتعصيم في شركهم (٦٤) و ارسل هوداً إلى عاد كذلك، فنجى برحمته المؤمنين و حسم المكذبين لاصرارهم على الشرك (٧٢) و كذلك صالحاً بناتقه و رجفته

لفسادهم (٧٩) و لوطاً يظطره لفواحشهم (٨٤) و شعياً بشريته في الكيل
و الميزان و الاصلاح و رجفته لحرصهم (٩٣) فتلك القرى لم يسمعوا
نصيحة أنبيائهم و هموا باخراجهم فاخذوا باليساء و الضراء فلم يضرعوا لما
كذبوا من قبل فامهلوا فاهلكوا و هذا العذاب مخوف على هذه القرية (١٠٢).
(في عظم فرض الخلافة)

..... (ياض في الاصل) (١)

(٤٧)

أمثلة

حل مشكلات النظام

في بعض الآي و السور (٢)

(١)

القرآن يعطى العلم و العمل و الحال . فاعلم أن بعض ذلك يتحول
إلى بعض ، كما أن جملة الخير تتحول إلى الامر و الانشاء و هكذا بعضها
إلى بعض . و يعد هذا الاصل تأمل في بعض الأمثلة لترسخ في هذا العلم .

(١) إن هذا انصل الجليل لم يكنه المصنف رحمه الله و إن كان رفع الشأن و تكبير المنفعة .

لكن لا تأسوا معاً ، فانه رحمه الله تعالى قد استعرضه في تفسيره نظام القرآن و تاويل الفرقان
و الفرقان . فانه لم يمس فيه مطالب السور كلها و بين نظامها بشامها . فالتفريد ، فانه غير مطبوع ؛
سويح عن قريب إن شاء الله تعالى . فانه يشق عليك و تعلمين به قلوبكم (الجامع)

(٢) هذا التواضع من . قد وجدته أمثلة في المخطوطة . مثلاً ، تدرى إلى حل مشكلات
النظام في بعض الآي و السور فزأيت أن أجعل تحت هذا العنوان : لتعلمين تدرى إلى معرفة مشكلات
النظام و الامتداد بطريق استبانة في مواضع أخرى . علمتها في هذا الفصل و أرجو انتم
آمننا بطرق فيا ؛ و أخذنا منها ستمها الصحيح ؛ وجدنا عمراً كبيراً و نبياً عظيماً لا نكفراً في حل
مشكلات النظام في سور و آي أخرى إن شاء الله تعالى (الجامع) .

قوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين) يعطيك حالة الشكر . و
 (الرحمان الرحيم) يعطيك حسن الظن بالله علماً وحالاً . و (مالك يوم
 الدين) يعطيك حال التوكل والطمأنينة إلى ربك . ثم انظر في حسن النظم :
 أول المعرفة هو العلم بالنعم ، و أول الفرائض الشكر . و من ههنا ينشأ
 العلم بكون الخالق رحماناً ورحيماً . و تكرر الرحمة به على رحمة تكون
 على الساكنين ، فبسه على الجزاء و حث على الدعاء .. و غاية التضرع ،
 التفويض و التوكل . ولكن ما أحسن التوكل بعد حسن الظن . و لحسن
 رباط هذه الآيات وجوه آخر .

(٢)

قال الله تعالى : (فلا تزكوا أنفسكم ، هو أعلم بمن اتقى) أى لا تدعوا
 أن تقوسكم زكية فان الله أعلم بمن زكته نفسه . بان اتقى الله و جانب
 السيئات . فدل على أن التزكى هو التقوى . يؤيده : (فاما من اعطى واتقى)
 فالانفاق هو الزكوة . و من الانفاق أن يسد باب الشهوات و ينفى الشح
 و يؤيده : (و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) و يؤيده : (قد
 أفلح من زكاهما) أى من أتقى . و أيضاً : (سيحبها الاتقى الذى يوق ماله
 يتزكى) و أيضاً الانفاق هو الكرم و علبتها العرب و يؤيده : (إن أكرمكم عند
 الله اتقاكم) . و أيضاً الجود هو الشرف . و اتقوا النار ولو بشق تمرة .
 (لا يصلها إلا الاشقى الذى كذب و تولى) أى كذب بالعاقبة
 الحسنى لمن أعطى ، كما قال : (و كذب بالحسنى) و قال : (فلا صدق
 و لا حلى و لكن كذب و تولى) أى بالمعاد و البعث و الجزاء ، فتولى عن
 الرب و لم يصل .

(٣)

قال الله تعالى : (و الذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون)
 قد دل نظم الكلام على أن الشرك ظلم عظيم ورجس مبین . ويدل على ذلك السياق والتظاير . أما السياق فقوله تعالى : (و من يفعل ذلك يلق اثاماً : يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً) .
 و أما التظاير فقد جاء الخلود للقتل و حين احاطة الآيات . و أما كون الشرك رجساً متشابهاً بالزنا ، فقد صرح به في الكتب السابقة ، و أشير إليه في القرآن حيث جاء :

(٤)

قال الله تعالى : (والسماء بيناها أيديوانا لموسعون . والارض فرشناها بنعم الماهدون و من كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون . ففروا إلى الله انى لكم منه نذير مبين . و لا تجعلوا مع الله الهاً آخر ، انى لكم منه نذير مبين .) جعل في جعل الزوجين من كل شئ دلالة على حكمته و قدرته . ثم على الدار الآخرة المئمة لهذه الدار . و على المجازاة التامة للاعمال ، و لهذه الدلالة التي هي ظاهرة على السليبي القلوب الذين لا يخشون على آيات الله صماً و عمياناً . فقال بعد ذكر خلقه الزوجين : (ففروا إلى الله انى لكم منه نذير مبين) .

و مثل هذا النظم ترى في قوله تعالى : (إن في خلق السموات و الارض و اختلاف الليل و النهار آيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياماً ركعاً و ساجداً و على جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات و الارض

ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانه ففنا عذاب النار) .
 ولما كان خلق الزوجين من كل شيء ، جامعاً لكل ما خلق واشتمل
 على الكونين ، دل على عظمته واحده ، قادر على جميع الخلق فقال بعد ذكر
 الفرار إليه ، إنه لا شريك له ، فأنذرهم مرتين : مرة على انكار المعاد و
 أخرى على الشرك .

(٥)

(فاما من اعطى و اتقى و صدق بالحسنى)

الجود يهدى إلى التقوى ، فانهما من باب واحد . فيها نفي القسوة
 وجلب المدح . والجود من باب الشكر ، والشكر أول لسبق النعمة ثم أول
 العلم بعد علم النعمة . . . معه هو علم الفقر . فالشكر يلزم التقوى والشكر
 مع الحشوع بذر الصلوة . و التقوى بذرها الاعتقاد بالغيبيات العليية و
 الخبيات و الحق و الباطل . فتهدى إلى الايمان بالمعاد . و ذلك يهدى إلى
 الصلوة . فالترتيب هكذا :

الجود — التقوى — يعين المعاد — الصلوة . و من الصلوة تحصل

كل شيء ، قوي مفتاح الفلاح . و الدليل على هذا التاويل أمور :

قال تعالى : (فلا صدق ولا صلى و لكن كذب و تولى) سورة

القيامة آية : ٣١ - ٣٢ . و قال تعالى : (انها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين

بظنوت أنهم ملاقو ربهم و أنهم إليه راجعون) سورة البقرة

آية : ٤٥ - ٤٦ .

(٦)

قوله تعالى : (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) ليس من الجبر في شيء .

من تمام معنى الربوبية ، أن لا يقع في ملك الرب تعالى ما لم يشأ ، فالخالق كله يجرى حسب ما قدر حكمة وعلما ورحمة . فكما أن الشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب مسخرات بأمرة ، فكذلك الإنسان وكل مخلوق يجرى حسب ما قدر له . فلو شاهدوا أن يقلبوا أمره ويبدلوا تدبيره ، لم يمكنهم . وهذا القدر ظاهر بين من جهة العقل و صريح النصوص . ولكن أخطأ كثير من الناس في فهم ذلك ، و وقعوا في اعتقادهم بالجبر . وقالوا ان الله تعالى خلق خلقاً ، ليعذبهم . و يلقبهم في النار من غير سابقة من المعتدين . وهذا كإساءة الظن بالرب الرحيم الثار من غير سابقة من المعتدين . وهذا كإساءة الظن بالرب الرحيم ، وإساءة فهم ما جاء به القرآن والنيون . وإنما غلطوا لعدم فهم موقع هذا الاسم و أمثاله . فلا بد أن يزاح هذا الباطل .

فاعلم أن الله تعالى هدى الناس و هيا أسباب الهداية . و جعلهم سمياً ، بصيراً . ذوى التمييز و الايقان . فلا يترك لهم عذراً لانكار ما بين ، فهم مقهورون في تسليم ذلك . كما أنهم مقهورون في سائر ما جعل في فطرتهم . وجمع ذلك أراد أن ينيلهم كيف يفعلون في ما أعطاهم من حرية الإرادة و استعمال أسبابها ، فلو أجبرهم على جميع ما يفعلون ، لم يكن معنى الإيسلاء ، و لا لالهام الفجور و التقوى ، و لا لوقوع الزجر و اللوم على السيئات . قال تعالى : (انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبليه فجعلناه سمياً بصيراً . انا هديناه السبيل إما شاكراً و إما كفوراً) فجمع ما

فيه هم مقهورون ، و ما فيه هم مطالبون من الارادة و الفعل . وقال تعالى
(بل الانسان على نفسه بصيرة و لو ألقى معاذيره) فهم مقهورون في
هذه البصيرة . لا يمكنهم أن يدفعوا عن أنفسهم اللوم و الانتقاص و الحياء
من فعل سي فعلوه .

و المجرى يزعمون أنه تعالى قهرهم في كل شئ . و هذا على مذمبهم
في الأفعال و الارادات كلها . و مستدلهم غير هذا و لا يزيد نقض
دلائلهم هنا . و إنما أردنا أن استدلالهم بهذا الاسم ضعيف جداً ، مع
قطع النظر عن النظم . و الآن نظّر في مفهوم هذا الاسم مع قرينه و
هو الحكيم الخبير .

تذكرة : (١) الحكيم والخبير يقرن بالعزيز والقاهر ، لشيء على
مواقع هذين الاسمين .

(٢) (ياض في الاصل)

(٧)

نظرة في نظم آية الكرسي

(١) هذا يقتضى بياناً من وجوه كثيرة ، و لنا الآن بصدد ذلك ،
ولكن أذكر هنا بعضها .

الحياة كما أنها لا تصور من دون ادراك و ارادة ، فكذلك هي
لا توجد من غير أن تقوم بها عقدة نظام . و للحياة مراتب و أداها ما
تجد في كل عقدة بين اثنين . فكلها انحلت عقدة . اختلف نظام وجود .
ثم لا يلبث إلا ريثما ينشأ نظام جديد . و دخل في تركيب آخر .
كما قال : (ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) .

فما من مركب من جزئين . وأكثر إلا وقبیه عقدة ، و هي أدنى الحياة . والحياة تسلب وتعطى ، و لا تزال عقدة الخلق تعقد و تفحل ، فان وجبت لكل خلق حياة . تقوم بتركيبه ، فلا بد لكلية الخلق من قائم به و هو الحى القيوم .

لا بد من حياة دائمة لقيام كليات الخلق . فلوضعت ووهنت بنعاس ، سقطت السماوات و الأرض و انحلت عقد تركيبها . (الحى القيوم ، لا تأخذه سنة و لا نوم . له ما فى السماوات و ما فى الأرض .) ومن ذلك قوله تعالى : (إن الله يمسك السماوات و الأرض أن تزولا و لئن زالتا ان امكهما من أحد من بعده) الحياة التى بها قوام خلق . هى نفسها محتاجة إلى قيوم ، فهى كلة و أمر منه . (و من آياته أن تقوم السماء و الأرض بامرء) و أيضاً : (خلق الموت و الحياة) .

(٢) كما أن تابع الوجود و بقاء عقده من قيوم . فكذلك بقاء عقدة الادراك و الايقان بالقواد و البصر و السمع ، فانها تفحل و تقوى و تشتد . فهو القيوم للعلم كما هو القيوم للحياة . و هكذا الارادة

(٨)

نظرة فى سورة الاعراف

(١) أرى أن سورة الاعراف تتضمن بياناً لأمور ، اجملت فى سورة البقرة و لذلك سميت باسمها و زيدت فيه حرف الصاد ، لما أن فى أواخرها قصة موسى و قومه . فلنذكر بعض هذه البيانات :

(الف) لم يذكر فى سورة البقرة كلمات تلقاها آدم عليه السلام و ذكره

فى سورة الاعراف .

(ب) (ياض في الاصل) (١)
 (٢) ولا يخفى ان سورة البقرة مدنية و سورة الاعراف مكية ، فمن
 جهة لحاظ النزول و مقتضاء ههنا تلويح بعد البيان . كما ترى في كثير من
 القصص و الاستدلالات .
 و أما من جهة لحاظ الترتيب ، فهنا تفصيل بعد الاجمال ، و هذا
 أصل مستقل للفرق بين هاتين الجهتين ، فان مقتضاهما مختلف . و أمل
 عهد التنزيل مختلفون من الذين جاءوا بعدهم إلى يوم القيامة ، فالترتيب
 الدائم حسب هوالآ .

(٩)

(الرحمان . علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان)
 الكلام . تدل و ترقى و تقرب ، و اتصال و تجمل و تعليم مقالا
 و حالا .
 المتكلم ينطق بلسانه . و كذلك الكاتب بقلبه و كتابه . (هذا كتابنا
 ينطق عليكم بالحق) و كذلك الآيات الدالة . (قالوا انطقنا الله الذي
 انطق كل شيء) فالذي نصب الأدلة كلنا بالسها ، و اقرناها . و علمنا
 القراءة بما أودعنا قوة الفهم و الاستدلال . ثم علمنا البيان و التعليم باداء
 ما في أنفسنا . لولا الكلام ، لم يكن حيل و وسيلة بين المتكلم و السامع
 أو الكاتب والقارئ . الكلام الحقيقي واسطة بين النفسين و تادية للإرادة .
 أليست الرحمة من صنف الإرادة فتكلمنا بلسان النعم . و كذلك الميزان
 ناطق مبين و حاكم بالحق الراجح . و هكذا موازين الأجزاء و مقاديرها
 على حسب رحمة و حكمة ، آيات دالة على معانيها من الرحمة و الحكمة .

(١) لما بعض التضميل في تفسيره نظام القرآن - الجامع

هذه خطوات الفكر ويصعب عليك فهمها ، فوضحها بعض الايضاح .
 لما كان ربنا الرحمن ، لا بد أن يسدى إلينا رحمته ، وكما أنزل علينا
 من رحمته جعل فينا الادراك و الاحساس لها . وفي ذلك أمران :
 اظهار من الرب تعالى ، و قيم فينا لما أظهر ، فكانه خاطبنا و اقربنا ما
 خاطبنا به . فرحمته أول كلامه و التفاته ، و ادراكنا لرحمته و نعمه أول
 قراءتنا . فكما خاطبنا فكذلك علنا القراءة ، فرحمته كلامه و كتابه ، و شكرنا
 و خضوعنا لرنا قراءة ذلك الكتاب . وهذا من لوازم الرحمة و هذا كلامه
 القديم المساق لرحمته . ثم هذا القرآن المنزل ، مطابق لذلك الكتاب . ألا
 ترى كيف بدءه باسم الرحمن الرحيم و بالحمد له . فاقربنا كتاب رحمته .
 ثم لما جعل الانسان ناطقاً ، لا بد أن يكون فيهم من ينطق و يبين
 ذلك الكلام الرحاني و يتلوه على أبناؤه . فان البيان من لوازم خلقته
 و عبصر حقيقته . فاول أمره ، شكره لربه . ثم بيانه لمن حوله . فانه
 كالقلب الفاهم و اللسان المبين في جسم نوحه ، فان من أحسن فهو القلب
 و من بطق فهو اللسان . فالفاهم الناطق هو ترجمان كتاب الرحمة . فالتالي
 أول وصفه من جهة كونه نبياً . هو تلاوة آيات الرحمة على الناس .
 و لذلك سمى الرب تعالى آيات الكتاب هدى ورحمة للمحسنين ، و المحنون
 هم الذين يفهمون هذه الآيات ، فلمهم هدى من جهة فهمهم . ورحمة من
 جهة انهم أعطوا الهدى و تحقق فيهم تلك الرحمة ، و من جهة اتقاعهم
 بما يتدون بهذا الكتاب لسعادتهم وهو التقرب إلى ربهم .
 و كما أن هذا الكتاب ، كتاب و قرآن و نطق و بيان ، فكذلك
 آيات القطرة و خلقه السماوات و الأرض و جريان الشمس و القمر و

اختلاف الليل والنهار و الرياح و السحاب ، كتاب منشور متضمن لآيات
رحمته وحكته . ثم كونها بحرية و مسخرة طائفة ، و وجود النجم و الشجر
تسيحات و صلوة منها ، و اسماع لنا لآيات الرحمة و الحكمة و تقوده بالربوبية
و الملك ، فهذا نطق آخر كالصدي يكرر علينا كلام الرحمن تكرار دلالة
الانفعال على صفة الفاعل . كما قال : (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي
و الاشراق)

(١٠)

و الفجر و ليال عشر و الشفع و الوتر و الليل إذا بسر
الفجر جميل . الجمال له نسبة إلى ما حول الجميل . فإنه في نفسه لا
يكون جميلاً . ثم له نسبة إلى المدرك الذي يأخذ الجميل مع أطرافه ، ثم
يحكم بكونه جميلاً . وهذا أظهر في الشفع و الوتر . فإن وجود الشفع هو
التصور في المدرك و إلا فإنه وتر و وتر . و هكذا الأمر في الوتر .
فإن كون الشيء وترأ أيضاً هو أمر اضافي .

ثم في الأمر المذكور . حسن التوقع ، إذا كان مرصولا يظهر غوب .
و من هذه الجهة كل عسر ، تبشير بسر . فالليل باعتبار كونه ذاهباً مديراً
بشارة بالفجر . و هكذا كل باطل و ظلم ، و هذا أيضاً من باب كون
وجود الحسن أسراً اعتبارياً ، و الاعتبار فعل العقل كما هو المدرك .
فالجمال منه و له ، فإنه هو المعتبر و المدرك

(١١)

نظرة في نظم سورة و الضحى

(١) ان ازدياد النور بعد الظلام ، ثم ازدياد الظلام بعده ، شهيد بأن هكذا طريق الرب بعباده ، فا ودعك للابد و لا سخط بك إذا أكثر الشر في امتك و قل برحم . فلا شك أن آخر أمركم خير من الأول . و عن قريب يزيد أمتك حتى تقر عينك . كما وقع بعد فتح مكة . و هكذا يكون في آخر الزمان كما قال عليه السلام : هأمتي كالقطر ، لا أدري أربها خير أم آخرها ، و هذا لما قال تعالى : (و السابقون السابقون) و قال : (ثلة من الأولين و قليل من الآخرين) .

و قد جعل الله حالك مرآة لحال أمتك ، وجدك يتيها ، فأواك . و وجدك على غير بينة من أمرك لا تدري ما تفعل ؟ فأنزل عليك الوحي . ثم وحدك فقيراً ، فأثناك . و هكذا تكون أمتك ، تصير يتيها و تضل في أمرها لا تدري ما تفعل ، كما قال تعالى في بيان سنته : (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) و كذلك : (غلغف من بعده خلف أضاعوا الصلاة و انبعثوا الشهوات فسوف يلقون غياً) و كذلك : (طمأنا عليهم الأمد فقست قلوبهم) فهكذا هذه الأمة تضل بعد مرور الزمان و تصير لا ملوى لها . و تسلب غناها . فإذا وقع عليهم هذا البلاء فما دواؤه ؟ فودانا بمرآة النبي ، و حاطبه لتعلم ما تفعل . فقال : (فاما اليتيم فلا تقهر و اما السائل فلا تقهر) . فهذا دواؤنا .

وأما التحديث بنعمة ربك فهو ذكر انعامه علينا ، فلا ينس و نرجو ذهاب الشر . و أيضاً نصلي كثيراً ، فان الصلاة جلها الشكر . و أيضاً

نسمى في اشاعة العلم و الدين ، فانه النعمة التي اعطانا الله و ربطت بهما نعماً
أخرى . و تعليم القرآن تحديث بالنعمة المذكورة في قوله تعالى : (ووجدك
ضالاً فهدى) .

(٢) و في ما قدمنا أمور تستدعي بياناً و تشييداً وهي هذه :

١ : القسم هو الاشهاد بآيات الله و سنته . هنا يناه في كتاب
امعان في أقسام القرآن .

٢ : النبي مرآة لاحوال امته .

٣ : يأتي الوحى بما يقع في ما بعد ، كما ترى في كتب الأنبياء .

لاسيما في الزبور و في سورة الحجرات

(١٣)

نظرة في نظم سورة الم نشرح

شرح الصدر ، ووضوح الامر وذهاب التردد واطمئنان القلب و طيب
النفس لامر ، و هو خلاف ضيق الصدر . كما قال : (رب اشرح لي
صدرى و يسر لي أمري) و كما قال : (و يضيّق صدرى و لا يفتلق لسانى)
و كما قال : (افن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) و أيضاً
كما قال : (و لكن من شرح بالكفر صدراً) .

و هذا اول امر من اراد جسيماً من الأمور ، فاذا تجرد له و توسع
نظره ، علم ما فيه من الصعوبات ، فاحس بثقل على نفسه و حمل باهض
على عاتقه . فاذا تحمل ذلك علا امره و رفع ذكره و ذلك من سنة الله
تعالى فانه ربط اليسر باليسر

في من فاق الاقران ، يهيج حسدهم . كما قيل في الامثال : ، لا تعدم الحناء ذأماً . . و أكبر ذلك إذا وضع الافضل و رفع المفضول ، لا يمتحاق باطن ظهري عند الامتحان . و الخلق ليس إلا اضهار ما هو المستكن ، و الإظهار هو الجهد و هو الابتلاء كما قال تعالى : (خلق الموت و الحياة ليباؤكم) و ابتلى آدم ، فظهر ضعفه العقلي و الانحلال في ، كما قال : (نسي و لم نجد له عزماً) . و لكن عرف ذلك و استحيى و تاب ، فخرج من الشر ، الخير له . . معرفه الفقر إلى الرب ، و الجياح ، و حسن الظن به ، فاستحق الاجتهاد و المعفرة . و هذا العطاء احسان و لكن نشأ منه حسد من أظهر استكباره و سوء الظن بالرب .

جاء في القرآن : (توبح الليل في النهار و توبح النهار في الليل و تخرج الحى من الميت و تخرج الميت من الحى و ترزق من تشاء بغير حساب) فيه على خلق الضد من الضد . و قد أكثر القرآن من أمثلة ذلك . و كان رئيس حكما يونان يقول : ان الخلق إنما يكون من ضده . و القرآن قد نبه على أمور يذكر هذا الاصل العظيم . و لنذكر منها ههنا أمرين :

(الف) قد التيس على العقول بدء الشر . فان البارئ تعالى لا يخلق إلا ما يشاء و ما يريد فكيف خلق الشر ؟ و قد تجوزوا عن حله و اضطروا إلى مذاهب باطلة كما تعلم .

(ب) و كذلك كبر عليهم تصور الوجود من العدم المحض وذلك بما غلب عليهم أن كل شئ لا بد له من مادة قديمة . و في ذلك أيضاً ذموا إلى مذاهب باطلة .

و كل من لم يفهم معنى الخلق ، أشكل عليه هاتان المسئلتان .

(٤٨)

استدراك ما فات

من هذا الكتاب

سقط بعض الموضوعات منه في أثناء الطبع ولم انتبه لها إلا بعد أن بلغ الكتاب نهايته . فرأيت أن أضفها في آخره محافظة على انتظام سلسلتها . وها هي
ذى : (الجامع)

(١)

طريق استدلال القرآن

استدلانا من الظاهر على الباطن ، ومن الباطن على الخافي ، ومن الفرع على الأصل . فكل من كان الباطن أصلاً وأساساً لقد كان الظاهر سبباً للعلم ووسيلة إلى المعرفة وذريعة إلى اليقين . وذلك طريق القرآن وهو المعبر بالآيات الدالة على حقائق خفية بينات في صدور الذين أوتوا العلم الذي يستدلون بالمشهود على الغيب فهم على بصيرة . وذلك هو الصراط المستقيم . فإن الظاهر متصل بالباطن بطرف منه ، ومن نظر في أطرافه وجوانبه ، اهتدى إلى أصله ومبدئه .

فعدم الاختلاف يثبت أنه من الله وحده و لكونه من الله ثم لكونه مبنياً على الحق ، يجب عليهم ان يطيعوه واما ما خيل إليهم من الاختلاف فدعوا إلى تدبره ، فان التدبر يهدى إلى أصل الأمور و يبين الموافقة فيما يرى مختلفاً لقلة النظر وعدم التدبر

(٣) نظم القرآن

ترى في القرآن أم شئ ، أمر الآخرة والقرآن . فان العمل لا يأتي إلا على الايمان بالجزاء و البحث بعد الموت . و الايمان بكتاب بهديهم . و الشبهة على هذين الأمرين تبقى على مر الدهور .
و كذلك ترى أمر الوحدانية أهم فانه كالاساس و الايجد . فترى في القرآن هذه الأمور مشبكة و معشورة و مدرجة و مندرجة بعضها في بعض فتجدها كما قال الشاعر :

نماحتهم سلسكي و مخلوطة كرك لا من على نابل
و يلحق بذلك ما يناسبه كالاطاعة و الشكر و تفصيل أمر الآخرة من الجنة و النار و حسن أحكام القرآن بذكرها و غيرها

(٤) ربط المعاد و التوحيد

كثيراً ما ترى في القرآن مثل ما قال الله تعالى في سورة الروم :
(ما خلق الله السماوات و الأرض و ما بينهما إلا بالحق و أجل مسمى
و إن كثيراً من الناس بانفسهم لكافرون) فبدا لي أن الخالق الحكيم

لا يخلق شيئاً الا لمصلحة تحصل منه ، فاذا حصلت هذه ، جاء أجل الشيء ، وهذه المصلحة أيضاً لمصلحة أخرى و الا وقت آلاء الله . فنظام الخلاق في ترقق و رجوع إلى الله تعالى كما قال : (الحسبم أنما خلقناكم عبثاً و أنكم إلينا لا ترجعون) فهو الخالق و إليه المرجع و المآب فهو المركز و المحيط فلا يسبقه و لا يفوته أحد . و هو الأول و الآخر فلا مجال لاله آخر .

و لذلك كثيراً ما ترى في القرآن ذكر التوحيد أو تقيح الشرك بعد ذكر المعاد ، كما ترى بعد الآية المذكورة : (فعلى الله الملك الحق لا اله الا هو)

من افادته رحمه الله :

النسبة بين الصبر و الصلوة

- (١) إنها يشقان من لغة واحدة و هي التقوى و الايمان بالآخرة . قال تعالى : (استعينوا بالصبر و الصلوة و إنما لكثرة إلا على العاشمين (أى المتقين الخائفين الخاضعين) الذين يعثرون أنهم ملائمة رحم و أنهم إليه راجعون)
- (٢) تم انها يشادتان لأن الصلوة ذكر فلا يدع القلب يذمل عن القلب و بذلك يسيل عليه الصبر . و أما الصبر فهو الاستقامة عند هجوم الفتن و المشائد يحفظ القلب عن الذبول فيذكر ربه و يسأل . فهنا دائرة . شدة في الايمان ، و صبر على الفتن لثناء الله ؛ و صلوة

مواقع الأمور و قرأتها

الاستدلال بالظواهر : باب ربيع . فنه أنك ترى أموراً تفرق و المتأنية بينها خفية ؛ و لكذلك تراها في مواقع . فلابد من متابعتها ؛ فإنا تفكرت في آثارها و لوازمها و عاينها . حديث إلى المتأنية في حين طبعك في أول النظر .

- (١) الحكم العام بعد أمر خاص و هنا يشاق به كقولته تعالى : (يمين الله الربو و يمين الصدقات (أمر خاص) و الله لا يجب كل كفارة أنهم رسك نام) أى آكل الربو كفارة لهم .
- (٢) المقابلة بين امرين ذكرنا معاً مثل قوله تعالى : (يمين الله الربو و يمين الصدقات)

(٥)

وجوه خفاء النظم

(١) منها حذف بعض الأجزاء لدلالة الباقي عليها. فإن كان في قصة فلا يخفى الأعلى بليد أو مثله. ومثال ذلك في سورة يوسف. وإن كان في المحجج وضرب الأمثال فلا يكاد يخفى على من توقد ذهنه و ذكا عقله كما كثر العرب.

ولولا بلغتنا أشعارهم وخطيبهم و اجتماعهم و حكمهم لا سيما عن لم يكتب و لم يخط و لا سيما من نسايمهم و لا سيما على الارتجال، لجلعتنا العرب كسائر الأقوام. ولكنهم قوم أذكياء يفهمون قبل إيلاء أجزاء الكلام و يعدونه غيباً و كان يعجبهم الإيجاز، و يعلمهم الاطناب و إن شئت فانظر في سيرة اسبارتا من اليونانيين فانهم قوم شابهوا العرب في شطر من أخلاقهم.

(٢) منها أن بعض الكلام لم يحذف ولكنه ذكر فيما يتبعه من بعد بأسلوب آخر. فلو ذكره أولاً، لكان زائداً على الحاجة. ومع ذلك ربما كرر القول للتأكيد كما قال: (فلا اقتحم العقبة... ثم كان من الذين آمنوا) وسورة البلد آية: ١١-١٧.

و تبديل الأسلوب من خصائص القرآن وهو آفة للتجويزين، ولكنه يحمل البيان سهلاً سائفاً واضحاً

(٣) و منها عدم الوقوف على حالات المتكلم من غضبه واستخفافه و حصرته و إعراضه، ففي الكلام تراكيب خفية، تدل على هذه الأمور ولكن الوقوف عليها ربما يتعذر على الاجنبي. و تستدل عليه من أسلوب

لكلام ومعناه . و من الأسلوب الاستفهام و الخطاب و سرعة الالتفات
 غلظة القول و طول الكلام . كما قال : (فيما نقصهم) الآية
 فلو كان لهذه الأمور علامات لكان فيه بعض الهداية للعجم ، وهذا
 لأمر من المعجزات . فانه روح الكلام و لا هادى إليه إلا حاجات القلب
 هو مفهوم السامع ، تمتنع على المتصنع . و ان يتكلف أحد أن يأتي
 بكلام فيه اظهار الحسرة و الغضب و اللطف و غير ذلك ياشد ما يكون
 حاله بخلاف ذلك ، يعد أبلغ الناس و أوسمهم تخيلاً و هذا هو بعض
 سر الكلام . ثم هذا مع صعوبته يمكن في بعض كلام الأدي ، فان
 لم أحد بكلام الملك أو الحكيم في سطوته و كبريائه و رفته ، حتى يلتبس
 على السامعين فكانما بلغ من صناعة الخطابة أقصى غايتها ولكن ربما يفترض
 تصدى لهذه الصناعة كما قيل : وليس التكحل في العينين كالكحل . والمرء
 يوره تحت لسانه . و لكن لو سلم عن الافتضاح فالرجل ليس من الملك
 بل بعد ، فانهما انسيان و لكن ان تصدى أحد أن يكلم بكلام الرب و
 يبه على العقلاء و الخطباء و الشعراء المشهورين بهذه الصناعة و تقده
 زاء و تزوراً من قبل نفسه و لا يرون في كلامه انحطاطاً عن تلك
 صفة و اختلافاً عن تلك الدعوى في شئ من تصاريف قوله ، فهذا مما
 يجيزه العقل . ألا ترى أن ملطن أحسن في حكاية كلام الشيطان غاية
 احسان في حكاية كلام الرب .

ثم اعلم أن القرآن أظهر جلال الله و عظيم شأنه و عزيز سلطانه
 قدر لا يوجد في دين من الأديان . فبعد هذه الرفعة و الجلال جاء
 كلام يبلغ هذا الشأن و لا يفصر دون هذا المكان . حتى يصدق عليه ما

قال الله تعالى : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله و تلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يفكرون) سورة الحشر : آية ٢١ .

و لقد وجدت العرب هذه السطوة و الرفعة في القرآن قلبها إلى الشعر ، لما كانوا يرون الشعر أشد تأثيراً في قلوبهم . ثم لم ترض نفوسهم بذلك فقالوا انه سحر أو من الجن فظنوا أن النبي مجنون .

(٤) ترى عدة آيات متشعبة ، حتى يأتي بعدها أمر يجمع كلها فتصير متحدة لأن كلها تمهيد لما بعد ، كما ترى في سورة البقرة (١٥٩ - ١٧٧) .

(٥) عموم القول في المهديات و المعترضات ووجه القول ههنا إلى سمت خاص فلا بد من رد العام إلى جهته الخاصة .

(٦) احتمال المعاني المتعددة و التخصيص غير مقصود . ففى بعض الحال الشبهة مقصودة كوقت الساعة .

(٧) علاقة المفسر بفن من الفنون و اختصاصه به . فالجدلى مثلا لا يرى الأمثلة الجبر و القدر ، كما ترى في تفسير الرازى . و المنصروف لا يلتبس إلا حقائق أحوال الروح و نسبته إلى البارى . و الفقيه لا يهجم إلا الفروع و المحدث يرد من الروايات غير مشهور في نقدها . فأتى بما يضل في اختلافها نظم القرآن .

(٨) كثرة الشاكرين الذين لا يعتمدون على رأى ، فأتى بأقوال مختلفة ففى اختلاف الأقوال يصعب تتبع ما هو الذى لا يستقيم النظام إلا به .

(٩) من لأم له من القرآن إلا أمر خاص ، فيحرف الألفاظ و

من المعاني، ما لا أصل له في القرآن، فيقتنع بكل معنى ركيك يوافق
مض عن كل أمر واضح لا يوافق.

(١٠) اختلاف طبائع المدنيين من الذين نزل عليهم القرآن، فترى
لمدنيين غلبة ميلان خاص وتحميد الطبيعة في قالب غير فطري بعيد عن
حجة التي بقيت على جرياتها المطلقة لا عوج فيها ولا أمت .
و القرآن مع غموضه ليس بتقيد محدود، وإذا هو نبع من الفطرة،
فعمه وسعة . و الفرق بين عقل المدني و البدوي كالفرق بين أبصارهما
رى في المدن زرقاء و لا ابن حنظلة كما لا نجد في البوادي حريريا
نه و مهمته
(ياض في الأصل)

(٦)

وجوه الخطأ في التفسير

وجوه الخطأ، كل ما مر في وجوه خفاء الترتيب، ولكن ههنا نورد
أ خاصة :

(١) بعد ما تفرقت أمة محمد صلى الله عليه وسلم في المذهب، واتخذت
فرقة مذهباً خاصاً، متميزة في فروع تخصص بها، اعتقد ان خلافة باطل
من . فأول القرآن إلى مذهبه و جاء إليه بقلب غير ساذج، فتاويل
من المفسرين يناقض بعضاً فوجب للفسر أن لا يكون له مذهب خاص
في التفسير و لا يجوز للقلاد أن ينظر في القرآن .

ياك شو أول و پس ديدنه بر آن ياك انداز

(٢) ميلان المتكلمين إلى انكار كل ما يكون عليهم حجة فانهم
 يختارون من المدافع أقواها و الاكثر من أقوى المدافع .

فترى أبا مسلم و السيد أحمد أنكرا النسخ في القرآن و مال إليه
 صاحب حجة الله البالغة .

وكذلك ترى السيد أحمد أنكرا المعجزة لما وجد فيها مزية ليعسى و
 موسى عليهما السلام و نفيها عن محمد صلى الله عليه وسلم حسب

ظاهر القرآن

(رياض في الاصل)